كتاب الادب والمروءة

« عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء فاذا سمعت بذكر شيء فاذكره باحسن اسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمروءة اجتناب الرجل مايشينه واجتناؤه مايزينه واعلم انه لامروءة لمن لاادب له ولاادب لمن لاعقل له ولاعقل لمن لم [illegible] ان في عقله مايغنيه ويكفيه عن غيره وشتان مابين عقل وافر معه تحسين عقلاً كلها والوافر عقله اوفر منه ومن عقل وافر لاافادة معه وفي ذلك اقول شعراً :

وما ادب الانسان شيء كعقله * ولا زينة الا بحسن الادب

وقال ان الافئدة مزارع الالسن فمنها ماينبت مازرع فيه من حسن ولاينبت ماقبح ومنها ماينبت ماقبح ولاينبت ماحسن ومنها ماينبت جميع ذلك ومنها مالاينبت شيئاً وان من المنطق لما هو اشد من الصخر وانفذ من الابر وامر من الصبر واحر من الاسنة وانكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ماهو احر منه وامر واقطع وانكد وفي ذلك اقول شعراً :

لقد اسمع القول الذي كاد كلما * يذكرنيه الدهر قلبي يصدع
فابدي لمن ابداه مني بشاشة * كأني مسرور بما منه اسمع
وما ذاك من عجب به غير انني * ارى ان ترك الشر للشر اقطع

وقال في ذي الوجهين : من اظهر ماتحب او تكره فانما يقاس ما اضمر بما اظهر لانك لاتقدر ان تعرف ما اسر وقال :

ليس الشيء اذا تغيب سوءه * عندي بمنزلة الشيء المعلن
من كان يظهر ما احب فانه * عندي بمنزلة الامين المحسن
والله اعلم بالقلوب وانما * لك مابدا لك منهم بالالسن
ولقد ينال خلاف ذلك انما * لك مابدا لك منهم بالاعين

وقال في العشود : اما بعد فقد احضرني من صدك ما آيسني من ودك ولم يزل يجري لي خلافك ما يدخلني في رفضك وبدا لي على غل صدرك وفي ذلك اقول شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كامنة * فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها * من كان من حزبها او من يعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على * اشياء لولاهما ما كنت ادريها
ان الامور التي تخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها

وقال في كثرة المال وقلته : لا تستكثر مال احد ولا تستقله حتى تعلم ما عياله فان من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكر الاحمق ودخوله فيما لا يعنيه : واكثرهم دخولاً فيما لا يدخل فيه وارتطامهم فيما لا يكفيه — عدوه اعلم بسره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه ولا يثق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن الا من يخونه ولا يحفظ الا من يحفظه ولا يكرم الا من يهينه اشبه شيء خلقاً بالخنزير ان احسنت اليه لم يشكر وان اسأت اليه لم يشعر لا يطلعك من وجه الا ضرك من وجوه : ان اقبل عليك لم يسرك وان ادبر عنك لم يضرك ان افسد شيئاً لم يحسن ان يصلحه وان اصلح شيئاً افسده ان احببته فرأى منك حباً لم يحسن ان يشره وهو مع ذلك يعطيك اشد اعجاباً من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزدد الا جهلاً وان جلس الى الحكماء لم يزدد الا طيشاً وان احمل عنه الحدث لم يمكنهم ان يكونوا المصنتين له اعيا الناس اذا تكلم والهدم اذا تعلم واضحكهم لمن يشينه وارفقهم لمن يزينه واشدهم في موضع اللين والينهم في موضع الشدة واجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم ان حدثته ولا يفقه ان فهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك اقول شعراً

ارى يصرع ثم يشفى داؤه * والحمق داء ليس منه شفاء
والحمق طبع لا يحول مركب * ما ان لاحمق ما علمت دواء

وقال في ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوي عمي ومنهم من اذا هوي ابصر مرة وعمي اخرى ومنهم من اذا هوي لم يكد يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحازم الكامل الذي ان اعجبه امر نظر الى هواه وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع

نفق وترك هواه وكان امره معتدلاً يشبه بعضه بعضاً وقليل ما هم وفي ذلك اقول شعراً:

املك هواك اذا دعاك الى هوى * قاد اللبيب الى اهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بعقله * واذا اراد شقاءه اشقاه

وقال ايضاً سبحان الله تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم عند غناهم شعراً:

ارى قوماً وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجههم علينا
[illegible] ما لديهم * [illegible] ما لدينا
[illegible] * [illegible]

وقال ليس لعاقل امراً لا يحسن ان يحمل نفسه على الهوان من قبل غير عدة او حاجة بغير حجة او صاحب بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وحطم نفسه وقتل نفسه فان تلبث فقال احد ان تأخيره ان مصير عقله احسن الاستعداد له واعرف مع ذلك عدته باقصى حجة واصبر الرأي ولا يعجل تركه وحمله وبطشه فان رأيت تقدماً الا كان التأخر قبل التقدم خيراً من الندم بعد التقدم وفي ذلك اقول شعراً:

اذا ما اردت الامر فارفق تأنياً * وقدّم قياس الرأي قبل التقدم
[illegible] سالماً من ندامة * فلا خير في امر اتى بالتندم

واكثر الناس من يورث حجة او عدة او قوة فتكون نفسه في الامر تخطئ وقته التي تصير عدة حجته التي تخصمه وذلك انه ربما ادل الانسان قبل ان يعلم ما اعد الناس له [illegible] في الذي يأتيه ويباشره فاذا هو قد قتل او صرع او حطم لم ينفعه وجود عدته ولا قوة حجته حين اتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول:

اذا ما اتيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرفقا
فان الذي [illegible] * على [illegible] اتى واتقى

وقال ان الذي يطلب [illegible] بمودته ويوجب حق نفسه عليهم لا ندع الناس الى بركة واجلال امره وتعظيم قدره بالمحاباة ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبه منهم واظهر الامر الذي اكرمه من هو اعلا منك وقرب به من انت اقرب منه اليه فانك ان ترمه لم تحتج معه الى معاناة ولا استبطاء حتى لا انك ان

دعوتهم الى تكرمتك بغير ما تستوجب التكرمة به فانما دعوتهم الى اهانتك اما بكلام يجرحك واما بفعال تفدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك اجابوا اما بثناء يرفعك او بجزاء ينفعك .

وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ولن تخبره حق الخبرة ولن تجربه حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه او تعامله بالدينار والدرهم او تقع في شدة او تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء ورضيته فانظر فان كان اكبر منك فاتخذه ابا وان كان اصغر منك فاتخذه ابنا وان كان مثلك فاتخذه اخا وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال: كن من الكريم على حذر ان اهنته ومن اللئيم ان اكرمته ومن العاقل ان احرجته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يحب اقبالك وكن حذراً كأنك غر وكن ذاكراً كأنك ناس والزم الصمت الى ان يلزمك التكلم فما اكثر من يندم اذا نطق واقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة سياستك وقلة زللك وسعة عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك واعلم ان بعض القول اغمض من بعض وبعضه ابين من بعض وبعضه اخشن من بعض وبعضه الين من بعض ولو كان واحدا فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو اخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو الين من الحرير وان اعظم الناس بلاء وادومهم عناء واطولهم شقاء من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك اقول شعرا(١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب: ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاهده لها وقيامه عليها عمل من اعمال البر وسبب من اسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة: وقال التدبير مع المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر وكريم مقدر ولئيم مقتر وفي ذلك اقول شعرا:

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الغناء

---

١) نسبة هذين البيتين الى غيره من قبيل الوهم فهما من قصيدة النابغة الجعدي

كان يشقى به ويتعب حينًا * ثم أمسى لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء إذا ما * أكلوا إرثه غير سوء الثناء
رب مال يكون محقًا وذمًا * وغنى بعده سبيل الفقراء

وقال في تصنيف الطعام: إذا كنت ممن يؤكل طعامه ويحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من أطيب الناس في نفسه وألطفهم في يديه ولا تدع إعلامه إن أحسن ولا إنذاره إن أساء فإن نفسك عليه خير من أعتب الناس عليك واعلم أن لكل شيء غاية وأن غاية الإطعام التنظيف في الاحتشاء والإكثار من الماء حتى يستوي البدنان والريح والمنظر فإنه لا طيب أطيب من الماء ولو أنه المسك وما أشبهه من الأشياء والماء يدل على لطافة الرجل بطعامه وإنائه وإنما يكون القذر في الحمقى من الرجال والنساء وهو يستدل على بلادتهم وفي ذلك أقول شعرًا

ولا خير فيمن الماء في الطيب كله * وما الطيب إلا الماء أو الطيب
وما لطف الأحرار في كل مطعم * وما لطف الأحرار في كل مشرب

وقال في صفة العدو والصديق: احرص أن لا يراك صديقك إلا ألطف ما تكون ولا يراك عدوك إلا أحصن ما تكون فأما الصديق فإن كل الذي يحبه منك خلقك أو خلقك ولما كان يحبك فكلما ازددت حسنًا كان حبه لك أكثر ورغبته فيك أوفر وأكثرك عنده وأكبر لك في صدره (١) وأدوم له على عهدك وأما العدو فليس شيء أحب إليه من دمامتك وخساستك فاحترس منه وأظهر الجمال فليس شيء أبغض إليه من التمكن منك واعلم أن لا يكون شيء أحب إليك من التحصن منه

وقال في العقل والأدب: اعلم أن العقل أمير وأن الأدب وزير فإن لم يكن وزير ضعف الأمير وإن لم يكن أمير بطل الوزير وإنما مثل العقل والأدب كمثل الصيقل والسيف فإن الصيقل إذا أعطي السيف الجيد صقله فعاد جمالاً وسلاحًا يعتمد عليه ويلجأ إليه فالصيقل الأدب والسيف العقل فإذا وجد الأدب عقلاً صقله وزينه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف وإذا لم يجد عقلاً لم يجد شيئًا لأنه لا يصلح إلا ما وجد وإن من السيوف ما لا يصقل ويسقى ويحدد ثم يباع بأدنى الثمن ومنها ما يباع بوزنه مرارًا وضعفًا وذلك على قدر الحديد وجودته أو رداءته وكذلك الرجلان يتأدبان بأدب واحد ثم يكون أحدهما أفضل من الآخر أضعافًا مضاعفة وإنما ذلك على

---

(١) وجدت هذه الجملة بالأصل من غير نقط عليها

قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعراً

وقد ينفع التأديب من كان عاقلا * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

وقال في المراء : اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا فيما بينهم ذلك فلم يكن احرى لكل واحد منهم ان ينتفع بما سمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء يصدع الالفة ويوهن الود ويورث الحقد ويبث الشحناء ويجلي القلب وفي ذلك اقول شعراً

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصاً فداره
واحبب صديق الخير واحذر مراءه * تنل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة : اما بعد فاسمع من كثير من الحكمة فان اوله شيء يخطر في الافئدة اذا خطر وهو اصغر من الخردلة وادق من الشعرة واوهن من البعوضة ثم تحركه الالسنة وتنشده الافئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود اكثر من الكثير واوثق من الحديد واثمن من الجوهر واحسن من الذهب وانفع من كل شيء لا يزيد في المنطق ويذكي الفطن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به الاديب ويقبل به الصديق ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الايد قوة في منطقه وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة الخطباء في خطبهم والبلغاء في بلاغتهم وكتبهم والكرماء في رسائلهم والشعراء في قصائدهم واذا كنت ممن يؤلف حكمة او يضع رسالة او يذكر في مهمة فلا تنكه قلبك ولا تكرهه فانه اذا اكره كل ووقف ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه والتفرغ له والتأخر عنه والتقدم فيه فان الحسن ثم كما يتم البدر ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في الكلام واختياره : اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو اعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك اقول شعراً

وما الحجر الكبير اعز قيما * فعزت به من الحجر الصغير
وكم اصبحت من حجر خفيف * صغير بيع بالثمن الكثير

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن اسهل ما تكون وجهاً واظهر ما تكون بشراً واقصر ما تكون امداً واحسن ما تكون خلقاً والين ما تكون كنفاً واوسع ما تكون

اطلاقاً على الايام والاشياء عقب ودول فان انكرت منها شيئاً ومهما ما كان [illegible]) انكرت منها شيئاً حيناً على اهل الشماتة وعلى اهل الاعداء واحذر ان تحزن من يحبك وتفرح من يحسدك فان ازاء مصاب الدهر مصيبة اوحش من تغير النعمة وان انت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك فما تريدها من الدنيا شيء الا له مدعة ورفق الا وهو اهنأ مقابل شعب واطيب فاما من [illegible] وبعري فما يمنع الغضب والتضايق انه [illegible] العمر وتكدر الصدر وفي ذلك اقول شعراً

ما تم شيء من الدنيا تمت به * الا استحق عليه النقص والغير
ولا تمسه من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعد عما ولي فلن تلقى امرأ ابداً * لا عز من مثله الا يفتقر

وقال في الكذب :

كذبت من يكذب فان جزاءه * اذا ما اتى بالصدق ان لا يصدقا

وقال فيه ايضاً

اذا ما رأيت المرء حالاً لسانه * مكذوباً فايقن انه لا حيا له
ولا خير في الانسان ان لم يكن له * حياء ولا في كل من لا وفا له

وقال في الاخوان

ليس من كان في الرخاء صديقاً * وعدو الصديق عند البلاء
عدة في الرخاء للصديق * انما ذاك عدة الاعداء
وخليلا ما يدعي اخاه اصفياء * لاشتريناه اخاه بالغلاء
لو وجدنا اخا متينا امينا * لاتخذنا اخاه للشفاء

اما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في العلم والشركاء في العمل وحفظ مصاحبيهم والصبر على اخلاقهم وفي ذلك اقول شعراً

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنهم * واجتنب الاساءة ان اساءوا
وابصر ما يعيبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم ابداً واتي * مسيئهم فاترك ما اشاء

لا تبتدئن احداً بشيء مما يكره ولا بكثيره ولا بقليل ما يسخط ولا بكثيره فان ابتداك احد بشيء من ذلك فقدرت على الانتصار منه فعفوت او انتصرت فما احسن

جميع ذلك الا ان العفو اكرم والانتصار اعز وكلاهما حسن وفي ذلك اقول شعراً

(فماذا بك تجهده فيما عتبت عليه من طرق الصواب ..
واي الناس الأم من سفيه * يقول ولا يخاف من الجواب

وقال في الجهل : اياك والجهل فانما تجهل على ثلاثة رجل انت اعز منه ورجل هو اعز منك ورجل انت وهو في العز سواء فاما جهلك على من انت اعز منه فلؤم واما جهلك على من هو اعز منك فحيف واما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحليم ارزن والجهول انقص وفي ذلك اقول شعراً

ما تم عقل ولا حسن بلا ادب * ولا تجاهل في قوم حليمان
ولا الفاضل الاثوب ذي دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال في رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخبرة اعجاباً (٥٠) ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ومنهم من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي ذلك اقول شعراً

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما اضمروا الفضل المبين
كلون الماء مشتبه وليست * تخبر عن مذاقته العيون
فلا تحمد خليقاً قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها لمختبر بيان
ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تحت الكرامة والهوان
وما الانسان لولا اصغراه * سوى صور يصورها البنان

وقال ايضاً

لم ازل ابغض كل امرئ * وجهه احسن من خبره
فهو كالغصن يرى نضراً * انما يعجب من زهره
ثم يبدو بعده ثمر * ويكون السم في ثمره

وقال في النهي عن القبيح : واذا رأيت من احد امراً نهيته عنه فلم يحمدك ولم يندم نفسه على مكانه او يحدث حدثاً تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

أمر فقد بلغ ذلك منه مبلغ اليقين من [illegible] وفي ذلك قوله شعراً :

ولا خير [illegible] من [illegible] * لا [illegible] كتب [illegible]
ولا [illegible] له لا [illegible] في * [illegible] كتب [illegible]

وقال في التواضع : لا [illegible] الصغير الأمن [illegible] ولا [illegible] منه به والتفاخر عند [illegible] فانه [illegible] ان [illegible] بحسن [illegible] ويحبب وتجاوز وتحفظ [illegible] في ان تمسك في الشكر اذا [illegible] وفي الصبر اذا [illegible] وفي المكافأة اذا احسن [illegible] الاحسان [illegible] اذا [illegible] معاتبة الصديق اذا اساء احب الى الناس من القطيعة في معاشرة من [illegible] وفي ذلك قوله شعراً :

واذا عتبت على امرئ [illegible] * [illegible] ومساوئه
والذي [illegible] ما [illegible] بوده * [illegible] اذا [illegible] الا [illegible]

[illegible] ان تعرف موقفك من كل [illegible] من [illegible] من الشفاعة ان تكون للاحباب فيما يحب [illegible] فيما تكره، وما [illegible] ان تكون له فيما يكره ويكون لك فيما تحب [illegible] الكريم الذي [illegible] اليه [illegible] ولا [illegible] وفي ذلك قوله شعراً :

[illegible] الناس من [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible] الصديق من [illegible]

وقال في [illegible] شعراً :

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

وقال في المداراة : [illegible] على [illegible] العرب [illegible] كثيراً من [illegible] من [illegible] مداراة وفي ذلك قوله شعراً :

[illegible] لا [illegible] * [illegible] الارض ولا [illegible]
قد مات [illegible] * [illegible] حالة

ان جئت ارضاً اهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقال لا تقاتلن احداً تجد من قتاله بدّاً فانما الحق لمن غلب ولا غلب الا الله وان آخر الدواء الكي فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً :

وكم رأينا من اخي غبطة * أصبح مسروراً وامسى حزينا
وكم فتى يركب طاحونة * للحرب قد اصبح فيها طحينا

وقال في الاعسار والايسار :

كم من صديق لنا ايام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا
اني لاعجب ممن كان يمدحنا * ما كان اكثرهم الا يراؤونا
لم ندر حتى افتقدنا ما امارتنا * من كان ينصحنا او كان يغوينا
من كان يمدحنا ما كان يمدحنا * الا ليحمدها عنا بايدينا

وقال في الصلة والتفضل : لا يكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ولا من تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه فانما انت وهو كرجلين ابتدرا اكرومة فقصر احدهما وبلغ الآخر فاما القاصر فقصر عن حظ نفسه واما البالغ فبلغ الجميل امره وعظم قدره .

وقال في القدر : اذا كان الرجل لبيباً فشراؤه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى ما كان يطالبه ولن يؤخره مما كان يحاذر الا قدر يلحق به ما طلب ويلحق به ما يخشى وان من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ولا يؤتى مالاً ومنهم من يؤتى مالاً ولا يؤتى غيره فيحتاج ذو المال الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل الى مال صاحب المال ورفده ويجهز هذا بهذا وهذا بهذا (١) فليس لاحدهما غنى عن الآخر فاحوج الملك الى السوقة واحوج السوقة الى الملك

وقال في التفاضل : لا تقل فلان اغنى مني ولا اعلى منه فانه لو تم العقل والشدة والشجاعة والمال والحياء لذلك القوم وبقي قوم لا شيء لهم لهلكوا ولكن الله عز وجل قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فاعطى بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالاً مع اشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا وعاش الرجل برزقه ومثل عقله وادبه ومروءته وحاله كمثل الرامي ورميته فلا بد للرامي من سهم ولا بد

---

(١) في الاصل [illegible]

لسهمه من قوس، ولابد للقوس من وتر، ولابد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ويصيب به ما يطلب ويحوز به ما اصاب، والا فلا اسى. فالرامي الرجل والرمية الرزق والجمع بينهما العقل والاخر والاسي من ذلك الا يعقل. وفي ذلك اقول شعراً :

والقوس الاعضاء في كف صاحبها * يرمى بها النبل او يرعى بها البقر
او عود بان وان كانت معطفة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين لم تجدها * حتى يساعد من يرمي بها القدر

وقال ان احسن السمت وطول الصمت ومشي القصد من اخلاق الانبياء، وان سوء السمت وترك الصمت ومشي الخيلاء من اخلاق الاشقياء، فاذا مشيت فوق الارض فاذكر من تحتها و[illegible] ان ابن آدم اعز من الا [illegible] على الصمد ما لم يشبه ادنى شوكة وادنى مرض وادنى مصيبة فما اصابه شيء من ذلك وجدته اضعف من الذرة وامهن من البعوضة فلا يعرف الا تجبره وتكبره وترفعه واستطالته. وفي ذلك اقول شعراً :

ولا تمش فوق الارض الا تواضعاً * فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم مات من قوم هم منك امنع

وقال في الغنى والقنوع : ان الغنى في القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه. وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء يناله * وان كان ذا مال من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله الغنى واليسر

وقال في الرأي والمشورة : اذا استشرت احدهم فكن انت من يشير فانه امنع لك من الفشل (١) وابعد لك من الخطأ وامكن لك من الفكر واقرب لك من ظفره. وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا ركت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق
فبذاك يطلق كل امر موثق * وبذاك يوثق كل امر يطلق
ان الظن اذا تحكم لم يكد * يبقى عليه من الامور الاوثق

وقال في النهي عن مخالطة اهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء التي

---

(١) في الاصل [illegible]

لم ار احداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمى لان امر الله اعز من ان تحيط به العقول ولم ار اثنين تكلما فيها الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما الخصومة فلا ومن غالط في هذا او مثله فانما يغالط نفسه وعليها يعلو وانما يخدع او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع وقد بلغني ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تجادل اهل الاهواء فيرفعوا في قلبك شيئاً يوردك به الى النار فهذا امر نهى عنه موسى عليه السلام وقد اعطي التوراة فيها هدى الله وقد كلم الله موسى تكليما وكيف بغيره من اهل الاهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء فيه والجدل به ولم ار فيما سقط ثم ولا كلاماً صح الا وفيه كلام بعد كثير فالسنة ان لا تتكلم في شيء من الاهواء بالهوى وبعد الاتباع للكتب المنزلة والسنن للرسل الصادقة وفي ذلك اقول شعراً :

اذا اعطي الانسان شيئاً من الجدل * فلم يعطه الا لكي يمنع العمل
وما هذه الاهواء الا مسالك * يخيس بها اهل التعمق والملل

وقال في النميمة : اياك والنميمة فانها لا تترك مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ولا لحمة الا ازالتها لا ينبغي لمن عرف بها ان ينسب اليها وان يتحفظ من مجالسته ولا يوالي ناحيته وان يزهد في مجالسته وان يرغب عن مواصلته وفي ذلك اقول شعراً :

تجنب فيها الجهل والاسى * يفرق بين الاصفياء النمائم
فلا زالت مصروفاً الى كل آفة * ولا زال مصروفاً اليك اللوائم

وفي مثله اقول

كالسيل في الليل لا يدري به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه
فالويل للعبد منه كيف يقصده * والويل للبعد منه كيف يليه

وقال : اذا قيل لك اي شيء احلى من الكلام واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جوابها الف كلمة واكثر ولن تجد للكلام حداً تحصره ولن تبلغه حتى تحصره وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب ومن الصمت منه لا يصيب فائته منه ما لا ينتفع احد وخذ منه ما لا تقدر على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذره كما تحذر قاتله

وقال في تاديب النفس : اذا ابصرت بعض ما تكره من غيرك فاسرع الرجعة منه

قبل أن يحضره ملك من يشكره واحمد الله الذي أحسن إليك ويعرفك عيوب نفسك [illegible] الرجوع عن غيك [illegible] قبل أن [illegible] فأحسن [illegible] وفي ذلك أقول شعرا

ولن يهلك الإنسان إلا [illegible] * من الأمر [illegible]

وقال في الحاسدين [illegible] من الظلم [illegible] فإنه [illegible] وفي ذلك أقول شعرا

ولو كنت مثل [illegible] * ألا ما أقل [illegible]

ولو كنت مثل [illegible] * ألا ما أقل [illegible]

(١) تم أدب صالح بن جناح [illegible] سنة [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

[illegible]

وقد [illegible] هذا الكتاب [illegible] الكتب [illegible] ذكرا في كتاب [illegible] الجاحظ [illegible] عبد الله بن طاهر وهو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد [illegible] صالح بن جناح [illegible]

---

(١) [illegible]

الحكومات وشرائعها

عرف الانسان منذ نشأته ان الاتحاد ذريعة لنيل سعادته ووسيلة للحصول على مراده فمال بالفطرة الى الاجتماع اتكالاً على ما يتعلق بامر معيشته من مرعى وترحال ومأكل ومشرب ودعاه الى ذلك داعي العجز والتقصير عن القيام بمقتضيات حياته العادية كالصناعة والزراعة على اختلاف اصنافها والعمل على تعداد انواعه فكان اجتماعه قسرياً ضرورياً لراحته ورفاهته عبرت عنه الحكماء بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم .

ولما كان الانسان ميالاً بالطبع الى الظلم والعدوان كان من الضروري لاجتماعه وجوب وجود وازع يدفع بعض الناس عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم واحوالهم ومعيشتهم والا تقوضت دعائم العمران وهدمت اسبابه وقواعده لانه ليس من الممكن عقلياً اجتماع افراد بدون اتفاق فيما بينهم على كيفية نيل المعاش والقيام بالرزق ولا يمكن ذلك الاتفاق الا بوجود وازع عادل يحدد حقوق كل فرد وواجباته طبقاً للروابط الادبية اجتماعية تعرف الآن بالشريعة وهي وان اختلفت مبدأ باختلاف العادة والمكان لا تختلف غاية وهي المحافظة على حقوق الانسان لقيام المجتمع البشري كما قال العلامة ابن خلدون في مقدمته : " ولكي يتم للانسان الاجتماع لابد له من سنن يكفلها ولابد من العمل بهذه السنن اي مراعاة مصالح الجمهور المتبادلة ولابد من احترامها كذلك والا انفصمت عروة الاجتماع وتداعت دعائمه . ولكن لما كان الانسان كثيراً ما لا يملك من نفسه الطرق الشتى المؤدية الى ذلك اما عن عمد او غرور او عن جهل وذهول كان لا بد له من اقامة قوة باطشة للمحافظة على المقرر من السنن والاقتصاص ممن يحيد عن جادتها والا آل به الحال الى الفوضى اي لابد له من وازع يكون عنده اذا لم يمكن ان يكون من سواه يدفع عدوان بعضه عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم " اه

فهكذا نشأت الشرائع والحكومات ولم تكن الاولى بداءة بدء سوى مجموع عوائد وآداب بعضها ما فرضته الاديان واخرى ما اقتضت الاحوال باتباعه فقط ثم اخذت ترتقي بعدئذ بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن كما انه لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان " .

فما الشريعة سوى خطة تسير الحكومة بموجبها لتحدد حقوق الرعية وهي مسؤولة

بالطبع لدى هذه السلطة عما تفعل بالنظر الى رعاياها كما ان ارباب العائلات مسؤولون لدى القانون عما يفعلون بالنظر الى عائلاتهم لان تبعة الحكومة اعم من تبعة ارباب العائلات لان رب العائلة تتناول اسرته وهي مسؤولية له واما هذه ففي تتناول الرعية الحاكمة والرعية مجموع أسر عديدة فتكون مسؤولية لها وللوطن كما قال ارسطو ان العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحيا به السنة والسنة سياسة يسوسها الملك والملك راع يعضده الجند والجند اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يكنفهم العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم .

يتبيّن اذن مما تقدم ان نشوء الشرائع والحكومات كان قديماً قدمَ اول اجتماع نظراً لما في طبيعة الانسان الحيوانية من الاثرة والعدوان التي تحول دون اجتماعه وتآلفه لولا حاكم عادل يحد لكل حقوقه حسب الشرائع المفروضة فتاريخ الشرائع مرتبط بتاريخ الحكومات وتاريخ الاجتماع البشري كل الارتباط اي لم يكن الاجتماع دون الحكومات تحفظ كيانه وتذب عن حماه وتدفع عن حوزته ولم تكن الحكومات دون الشرائع تسير بموجبها فتحدد السلطة وتحفظ حقوق [illegible] ولم تكن الشريعة بدون حكومة تنفذ احكامها ولم تكن الحكومة بدون شريعة تحكم بها كما قال الموبذان بن بهرام في حكاية البوم التي نقلها المسعودي ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وبه قوام العالم . اهـ

وبما ان الشريعة لم تكن بادئ بدء سوى مجموع آداب وعوائد اقتضت الاحوال اتباعها عفواً ثم اخذت ترتقي بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن من الرقي والصلاح فهي اذن مرآة صافية ينعكس عليها مركز الامة في السلم الاجتماعي كما ينعكس عليها ايضاً من عوائدها واخلاقها ما يظهر لنا تأخرها او تقدمها . فمن اطلع على شرائع الفرس والهنود قديماً والقبائل المتوحشة مثلاً في القرن الماضي ووقف على ما حوته شرائعهم من [illegible] المجرم بالقتل [illegible] حياً في [illegible] حتى يموت [illegible] الى غير ذلك من الفظائع الجنائية كأن يلقوا المجرم الى السباع او يمزقوا جسده بالكلاليب او يحرقوه حياً او يشدوا الرجال الى اربع افراس تمزق المجرم [illegible] عرف حق المعرفة [illegible] وقسوة قلوبهم [illegible]

وحكم حكماً باتاً على تلك الامم بسكرة الجهل وتسكعها في مهامه الخمول لان قساوتها وانحطاط اخلاقها وعوائدها كانت تحول في شرائعها بأجلى بيان على انها تحت وقر الجهل ووراء ظل الارتقاء .

واذا رجعنا فوقفنا في كثير من شرائع امم اوربا المتمدنة الآن كانكلترا وفرنسا والمانيا وغيرها من امم العالم المتمدين كاميركا وخصوصاً شرائع مملكتنا العثمانية يحكم بالطبع على وجوب رقي تلك الامم لما ينجلي منعكساً على مرآة شرائعهم الصافية من حسن العوائد وطيب الاخلاق ما يضطرنا ان نقول بارتقاء تلك الامم طبقاً لارتقاء شرائعها . ولكن لماذا لا يصدق هذا الحكم على امتنا العثمانية وشريعتها من احسن الشرائع ونظامها من اقوم النظامات ؟ لماذا لا يصدق علينا هذا الحكم بل لماذا نحن في تأخر ؟ الانا من جنسية غير جنسيتهم ونحن ذرية الذين اشتهروا بالصناعة والتجارة والحماسة والشجاعة والفتوحات والفصاحة والمعارف والحكمة ؟ ام لانهم اقرب منا استعداداً للارتقاء ونحن من القوم الذين افاض الله عليهم من بركات الحجى ما اقام لهم الاندماج في سلك الرتبة الاولى بين مراتب بني آدم ؟ كلا ليست هذه من الاسباب التي اودت بامتنا بعد ان كان لها من بسطة الملك واستفحال الكلمة ونفوذ الشوكة ما لم تصل اليه امة من امم اوربا المراقبة . ولكن هو ضعف الادارة في الاعمال وعدم تنفيذنا الاوامر الشرعية والقوانين المفروضة وقلة رجالنا الامناء المخلصين كانت من جملة امراضنا الاجتماعية فاننا كما قيل كبار الاعمال لصغار الرجال اي وضعنا الشيء في غير موضعه فاصبح الوالي ظالماً والقاضي محابياً والجندي خائناً واوامر الشريعة لغواً لا يعمل به ولا ينفذ فلا بدع اذا فسدت الامة بفساد الحكومة التي هي بمنزلة الرأس منها وقد اجاد القائل :

واذا رأيت الرأس وهو مهشم   ايقنت منه تهشم الاعضاء

وهكذا يستنتج ان سلامة الوجود موقوف على سلامة النظام وسلامة النظام يكفله حسن العمل وذلك مترتب بالطبع على ادارة منتظمة حسنة تصدر من رجال مخلصين امناء لان الادارة ميزان كل حكومة وقوام كل مملكة كما ان الرجال سياج الامة يذبون عن حوضها ويدرؤون طوارقها فيذهبون بها من غمرات الخمول الى سواحل النظام والسعة كما قال انو شروان « الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل اصلاح العمال واستقامتهم وتنفيذهم اوامر الشريعة المفروضة من الله » .

فاذا كانت شريعتنا من اقوم الشرائع واحكامها من احسن النظامات وحكومتنا لا تعمل به فهو لغو ومعتبر حين تسير بموجبه الحكام. فتحدد الشريعة حقوق الحكام وواجباتهم . التعليم اجباري بمملكتنا المحروسة ولكن من يرد عليه هذا الامر ولا يسقط في يده ومن يعمل به من الحكومة ؟ توسيع الطرق وتطهير الشوارع وتسهيل اسباب النقل ومراقبة اسعار ضروريات الانسان من واجبات المجلس البلدي في كل ولاية مثلاً ولكن هل تسير اعضاؤه على حسبة واجباتهم فتحافظ على راحة الشعب ورفاهته وتوسيع الطرق وتطهير الشوارع حتى قال بهم احدهم مرة « ان اهالي دمشق تودلو تزرع الاشجار في شوارعها لكثر الامطار فتحمي من الغبار الذي لا يسكنه غير مياه السماء » . شريعتنا تحرم الرشوة بالتعليم فتقول « ما حرم اخذه حرم اعطاؤه » ولكن العاملين بها قلبوا الآية فحللوا الاخذ والعطاء . « التصرف على الرعية — كما ورد في القانون — منوط بالمصلحة فيلزم ان يولى في المناصب اهلها ولا يكلف الناس ما لا يحتمل ويدفع الظالم عن المظلوم ويؤمن السبيل ويدفع الاذى » ولكننا نحن نقلد الوظائف لمن لا يصلح لها فنضع الشيء غير موضعه ونساعد الظالم على المظلوم وان كنا ندري بان ذلك مبدأ الخلل .

وخلاصة القول ان شريعتنا من اسمى الشرائع واقومها لو عمل بموجبها ولكن فساداً طرأ على افكار العاملين بها فغيروا المعاني وصحفوا الالفاظ وحرفوها طبقاً لاهوائهم ومقاصدهم .

الكلية ببيروت   حبيب جرجي كحالة

النحام ومرادفاته

١ً تمهيد

اصعب ما في اللغة العربية تحقيق الالفاظ العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بعلم المواليد· فترى اهل المعاجم تخبط في هذا البحث ولا خبط عشواء· ولهذا يحسن بالعلماء ان يحققوا تلك الالفاظ ويتتبعوها تتبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبن عن الرغوة ويعول عليها الكتّاب من مؤلفين ومعربين ولا يبقوا سائرين في الوعث فيكابدون من العناء والجهد الامرَّين· ومن جملة الالفاظ التي تحتاج الى تحقيق كلمة « نحام » من الطير وها نحن نثبت ما يزيل الشك في هذا الباب فنقول :

٢ً النحام في كتب العرب

قال في حياة الحيوان : النحام طائر على خلقة الاوز واحدته نحامة ، يكون آحاداً وازواجاً في الطيران واذا اراد المبيت اجتمع رفوقاً ، فذكوره تنام واناثه لا تنام وتعد لها مبايت فاذا نفرت من واحد ذهبت الى آخر · اه المقصود من ايراده · — وقال داود الانطاكي : النحام : طير دون الاوز ، قيل انه شديد الحرارة ينفع المبرودين وهو مجهول · — وقال ابن البيطار : النحام هو من طيور الماء · ابن ماسويه : لحمه من اكرم لحوم الطير وافضلها · · · وفي التاج : النحام كغراب : طائر احمر كالاوز اي على خلقته · قال الجوهري يقال له بالفارسية « سرخ آوي » وهكذا ضبطه الازهري وابن خالويه · وغلطا الجوهري في فتحه وشدّه وضبطه السهيلي كضبط الجوهري · اه · — قلنا : الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب او سرخاب ويلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واواً وهي لغة كثيرين من الفرس الاقدمين والمحدثين ومن اسمائه بالفارسية ايضاً « خرچال » كما جاء في « برهان قاطع » — وعلى ذلك يكون النحام هو المسمى بالفرنسوية Flamant او Flammnt وبالانكليزية Flamingo وبلسان العلماء او اللاتينية Phoenicopterus

٣ً سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم · وعندنا انه مشتق من النحم او النحيم وهو صوت كالزحير او فوقه ، يخرج من هذا الطائر عند الطيران · وفعال بالضم من الصيغ الدالة على الفاعلية وان لم ينبه عليها اللغة كشجاع وخشاش

(وهو الماضي من الرحال) وقد يزاد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويبقى المعنى على حاله كقولهم: القطامي وهو الصقر. قال الاصمعي: القطامي مأخوذ من القطم وهو الشهوان للحم وغيره. اهـ وهذا الكلام يدل على ان العرب اتبعوا صيغة فعال او فعالي بالفعالية

٤ — تصحيف النحام ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم اياها. ومن اشهر من صحفها احمد فارس الشدياق الشهير فقد قال في كتابه شرح طبائع الحيوان ص ٢٨٠: النغاف (بفاء في الآخر) هذا طائر طويل العنق وفي غاية الحسن الى آخر ما قاله عن الاوزغ. وقد جاءت هذه الصورة المصحفة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه «الملحق بالمعاجم العربية» في مادة نغف.

ومن اخطأ في املاء الاسم هو البستاني في معجمه الفرنسي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريب Flamant: عواص، طائر طويل الارجل لونه احمر زاه، نحام. اهـ. والعواص غير النحام على ما اثبته العرب والعلماء الاقدمون والمحدثون.

ونحن العراقيين نسميه في ديارنا «الغرنوق» وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات. وفي القاموس: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي اسود وقيل ابيض او الغرنوق او الغرانيق: الكركي او طائر يشبهه. اهـ ويجب ان تصلح عبارة القاموس هكذا: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي ويريد به العراقيون النحام والكلمة معربة عن اليونانية Geranos بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى ايضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي Grus balearica وعند اهل الغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي Grus virgo — ومن اسمائه في العربية الشرحب قال السيد المرتضى في التاج في مادة شرحب او في مستدركها: الشرحاب بالضم: اسم الحماعة. وذكره احمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الاحجار وقال: انه طائر في حجم الاوز اي انه كبير جسمه بكبر جسم الاوز وهو امر لا اختلاف فيه لكن لا يراد بذلك انه يعادل الاوز كما يؤخذ من كلام الدكتور امين المعلوف في المقتطف ٣٦: ٢٧٦) احمر الريش ويوجد ببلاد الصين والفرس واهل مصر يسمونه الشنور واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف احتها) ويعلقون ريشه في المراكب المزينة. ويوجد في عشه حجر قدر البيضة اغبر اللون فيه نكت بيض وهو الحلف في

غواص لا يزال الطائر في غير اوانه » اهـ. نقله · ولم يذكر المؤلف ان اللفظة فارسية الاصل · وهي كذلك وقد وردت في دواوين لغتهم · وهي كلمة مركبة من « سرخ » اي احمر · و« آب » اي ماء · واظن ان الاصل في هذا الاسم ما معناه : الطائر الاحمر السابح في الماء · ثم اختصروا العبارة فقالوا ما معناه : الاحمر الماء · — والظاهر ان الافرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية الى لغتهم لم يهتدوا الى حقيقة هذا الطائر · فقد قال ڤلرس Vullers في معجمه الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه: Genus avis aquaticoe rubri coloris ومعناه ضرب من الطير المائي احمر اللون · ولم يذكر اسمه باللاتينية ثم قال: ويسميه البعض « خرچال » ايضاً · ثم زاد على ما تقدم : Anas casarca اي بط بري · فانت ترى من هذا انه لم يعرف ما يقابله عند العلماء · وكذلك لم يعرف حقيقته جنصن في ديوانه الكبير الفارسي العربي الانكليزي · وذكر هناك انه نوع من البط المائي · والبط الاوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية · فهذا القول يوافق وصف العرب النحام اي انه على خلقة الوز · ولم يذكر صاحب التاج البشمور في مظنتها وان كان ذكرها استطراداً في مادة سرخب ولم اعثر عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت اليها يدي ·

ومن اسمائه الفارسية ايضاً « ميش مرغ » ايضاً · لكن البعض يقولون ان المسمى بهذا الاسم هو الحبارى · لا النحام · على حد ما اختلف العرب في تعريف الغرنوق ·

واما لفظة البشاروش او البشروش فقد وجدتها في كتب متون اللغة الفرنسية التركية منها · معجم و· ويزطال المطبوع في مطبعة قرهبت في الاستانة في مادة Flamant الا انه ذكرها مصحفة بياء مثناة في الاول بدلاً من الباء الموحدة اي « يشاروش » وهكذا ذكرها ايضاً ش · سامي في معجمه الفرد في التركي · والاصح في كل ذلك البشاروس بباء مثلثة فارسية في الاول وشين او سين في الآخر وهي من اصل فارسي « بشرو » او « پيش رو » اي المقدم او الامام او الماشي امام الكل · وسبب هذه التسمية هو ان هذه الطير اذا سارت في طلب رزقها تولى احدها قيادتها يحذرها من الخطر اذا داهمها وحالما يشعر هذا الولي الامين بمشقة تحصل وان كانت بعيدة يبادر الى الاهابة بها بصوت عال كصوت البوق فتهب كلها للطيران حالاً (راجع شرح طبائع الحيوان لاحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣)

وقد صحّف التونسيون كلمة بشاروش او بشروش بصورة شبروش وقد نقلها دوزي

في معجمه المذكور وقال ان بوسيه وتريستام ذكراها عن الشام . قلنا : وكذا نقلها ايضاً لاساين في معجمه الكبير الفرنسوي العربي . فانظر حرسك الله كيف يجيء الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد . وكيف ان للحيوان الواحد اسماء عديدة بدون ان تذكرها المعاجم . وحاصل ما جاء من اسماء النحام الفصيحة والمصحفة هي : النحام والنحاف والغرنوق والسرخاب والبشور والبشروش والبشروس والبشاروش والبشاروس ولعل له اسماء اخرى لم نقف عليها واحسن هذه الاسماء كلها النحام لانها من اصل سامي اذ هو كذلك باللغة الارمية مع الالف الزائدة في الآخر وهو من مزايا اللغتين اي (نحاما) واما سائر الالفاظ فهي من اصل يوناني او فارسي او تركي ونحن في غنًى عنها .

٥ النحام على ما وصفه علماء الافرنج العصريون

قال علماء الافرنج في تعريفه ووصفه : جنس من الطير يدنو من السوابح بمنقاره ويشبه الشاهمرجات بساقه الطويلة ولهذا عزل عن كلتا الطائفتين وجعل في طائفة خاصة به هي فروع من طائفة الشاهمرجات او الخوائض اي الطويلات السوق . وهو صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب وفي حافتيه صفيحات كما في عرضيهما على حد ما يرى ذلك في البط وهو معوج عند منتصفه واذا اراد ان يصطاد فريسته كالطلاءات والدود والهوام والحشرات وبيض السمك التي يراها على اطراف الغدران والمستنقعات يقلب رأسه بان يضع الفك الاعلى اسفل حتى يتمكن من ان يتصرف في سفالته . — وهو طير جماعات تعرف بالرقوف (جمع رقف) لكثرة افرادها ويتقوم من هيئتها مثلث على حد ما تفعل الكراكي . واذا حطت على الارض اصطفت صفين كالعسكر وعشها عبارة عن مدرة تركبها ركوباً عند الحضانة كما يركب الانسان الحصان ولها صوت كصوت النفير هو النحيم . ولحمها لذيذ ولاسيما لسانها . واليوم يرغب في هذه الطير لريشها وهي اصناف منها : البشروس او نحام الاقدمين (١) وبالفرنسوية Flammant des anciens وبلسان العلم Phœnicopterus ruber وريشه كله وردي بديع اللون ما خلا الجناحين فانهما احمران ملتهبان ومثل لونهما لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم . — والنحام الاحمر او البهمن (1) F. rouge وبلسان العلماء Ph. bahamensis وهو كثير الوجود في اصقاع اميركة الجنوبية وهو اصغر قداً من النحام السابق ذكره ولونه ارجواني زاهي . — والنحام ذو الرداء الناري F. à Manteau de feu وبلسان العلماء Ph. ignicapillus ولونه احمر واضح وهو يوجد في انحاء باتاغونية وبونيس ايرس . — والنحام القزم F. pygmée وباللاتينية minor ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ما جانسه من هذا الطائر جسماً

---

(١) البشروس هو المسمى بالفرنسوية ما معناه : نحام الاقدمين ، والنحام المشهور Bécharu, F. Commun وهذه هي المشهورة عندهم ، وقد اخذوها عن العرب الذين نقلوها عن الفرس . والافرنج لم يعرفوا الى اليوم اصل هذه الكلمة وقد مر بك انها محرفة من « بيش رو » اي المتقدم او الامام .

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والغياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما تفعل البط والوز تغط مناقيرها فيها لتقع على قوتها . واكثر ما ترى انها تجتمع جماعات من ٢٠ الى ٣٠ طائراً . وسيرها ثقيل ومرتبك واذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الاخرى الى الاولى او تحت بطنها وتخفي رأسها تحت جناحها واذ كانت كثيرة الحذر يقوم احدها ديدباناً اذا نام سائر الاخوة والاخوات او اذا ذهبت تسترزق . وهي تخاف الانسان اكثر مما تهاب الحيوان . ولهذا اذا اراد الصيادون قنصها اختبأوا في جلد حصان او بقرة وذهبوا اليها . واذا اطلقوا عليها البندقية قتلوا منها واحداً واثنين والسبب انها لا ترتاع من طلقاتها ولا من رؤية ما يموت منها ولهذا لا تبعد كثيراً عن مسقطها فيصاب منها كثير . هذا جل ما يقال عن النحام . وفي الختام اقرأك السلام .

بغداد ساتسنا

---

(1) البهمن نعت فارسي معناه الطويل اليد وهي الساق في الطيور . ولا ادري كيف سمي العلماء هذا النحام البهمن بنعت فارسي اللهم الا ان يكونوا قد اخذوه عن المشرقيين

كتاب مخطوط

نشرنا في هذه الأيام في كتاب مخطوط [illegible] الجزءين الأول والثالث [illegible] ذلك ما جاء في خاتمة هذا الجزء.

ثم الجزء الثاني يتلوه إن شاء الله تعالى أول الجزء الثالث [illegible] الحرب الخارجة عن مسافات الديار المصرية.

وتاريخ كتابته سنة ١١٩٣ هـ كتبه عطية بن [illegible] الموصلي [illegible] الصالحي مولداً (١) [illegible] الكتاب [illegible] طوله ٢٣ سانتيماً وعرضه عشرون سانتيماً [illegible] [illegible] من أسطر في صحيفة ثلاثة وعشرون سطراً.

قدم مؤلف الكتاب [illegible] ويظهر أنه شافعي المذهب ومن رجال أوائل القرن التاسع الهجري [illegible] [illegible] عصره [illegible] آخرهم [illegible] في فقه دمشق [illegible] واستيلاء [illegible] على [illegible] وذلك في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة.

موضوع الكتاب

إن الكتاب [illegible] الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على نفس الخط [illegible] في [illegible] الخط وحقيقته [illegible] وفي عدد الحروف وفي تحسين الخط وقواعد تتعلق بالكتابة وفي [illegible] تتعلق في أوضاع الخط وقوانين الكتابة [illegible] هنا [illegible] عن الأقلام [illegible] المقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام [illegible] في أصل الأقلام وهي ستة (١) مختصر الطومار (٢) وقلم الثلث الثقيل (٣) والنصف (٤) قلم التوقيعات (٥) قلم الرقاع (٦) [illegible] من المباحث [illegible] هذا الجزء [illegible] المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب وقد [illegible] من هذه المقالة الباب الأول.

---

(١) الصالحية [illegible] من قرى جبل عامل الأولى من أعمال صور [illegible] من الأعمال [illegible]

والمقالة الثانية موجودة برمتها وهي في المسالك والممالك تشتمل على اربعة ابواب وتحت كل باب تقسيمات وتفريعات تفوت الاحصاء وكلها في موضوعات مفيدة

الباب الاول في ذكر الارض على سبيل الاجمال وفيه بحث عن معرفة شكل الارض وما اشتملت عليه من الاقاليم وفي اطوالها وفي ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان وفي كيفية استخراج جهات البلدان والابعاد الواقعة بينها هذا اجمال مايشتمل عليه الفصل الاول من الباب الاول والفصل الثاني في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ومقراتهم في القديم والحديث وما انطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم وما كانت عليه من الترتيب وما هي عليه في عهد مؤلف الكتاب قال واما من وليها (الخلافة) فعلى اربع طبقات الطبقة الاولى الخلفاء من الصحابة (رض) الطبقة الثانية خلفاء بني امية الطبقة الثالثة خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة خلفاء بني العباس بالديار المصرية وذكر خلفاء الطبقات الاربع ومدة توليتهم الخلافة ووفياتهم ومقراتهم

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني بحث جليل من ترتيب الخلافة في الصدر الاول وشعارها وبحث في تولية الملوك من الخلفاء والوظائف المعتبرة عندهم

والباب الثالث في ذكر مملكة مصر ومضافاتها وفيه طرفان الطرف الاول في الديار المصرية وفيه سبعة مقاصد المقصد الاول في فضلها ومحاسنها المقصد الثاني في ذكر خواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة المقصد الثالث في ذكر نيلها ومبتدئه ومنتهاه وهنا قال وقد ذكر الحكماء انه ينحدر من جبل القمر اما بفتح القاف والميم كما هو المشهور واما بضم القاف وسكون الميم وهنا بحث في طول النيل وعرضه والبلاد التي يمر فيها وفي زيادته ونقصه ومقاييسه

المقصد الرابع في ذكر خلجانها وبحيراتها والخامس في جبالها والسادس في زروعها ورياحينها وفواكهها والسابع في ذكر مواشيها ووحوشها وطيورها والثامن في ذكر حدودها والتاسع في ابتداء عمارتها والعاشر في ذكر قواعدها القديمة والمستقرة والحادي عشر يشتمل على ذكر خططها

والفصل الثالث من المقالة الثانية في ذكر كور الديار المصرية واعمالها والفصل الرابع في ذكر ملوك الديار المصرية جاهلية واسلاماً وطبقاتهم والفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر ترتيب احوال الديار المصرية وفيه بحث في ذكر معاملاتها وما يتعامل به وزناً وما يتعامل به معاده وفي الفلوس المطبوعة بالسكة وغير

المطبوعة وفي الثمار والمكيلات والمقيسات وارض الزراعة والابنية والاقنية والاسعار وفي الجسور والقناطر والجسور البلدية وري السواقي وهنا بحث في طرق زراعة الارض وصنوف الزروع

وبحث في وجوه اموالها الديوانية والمقصد الثالث في ترتيب المملكة وفيه بحث عما كانت عليه في زمن عمال الخلفاء من حين الفتح الى آخر الدولة الاخشيدية كذكر الآلات الملوكية من التاج والقضيب والسيف والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والاعلام والنقارات والخيام وفي حواصل الخليفة وهنا فيما كانت عليه احوال الديار المصرية في عهد الفاطميين وفي هذا المقصد ابحاث تتعلق في الوظائف والدواوين وفي مواكب الخلافة المختلفة في الاوقات المختلفة ويذكر في هذا المقصد قصيدة عمارة اليمني التي رثى فيها الفاطميين بعد انقراض دولتهم واستيلاء السلطان صلاح الدين الايوبي عليها وصف بها مملكتهم وعدد ممالكهم وحكى مكارمهم وحلى محاسنهم اوردها برمتها

ثم يذكر احوال الدولة الايوبية ورسومها واحوال الدول التي انتقلت اليهم الديار المصرية الى زمان المؤلف

وهنا ابحاث مفيدة تحل منها ما كانت عليه احوال الدول القديمة من الترتيب والانتظام

والفصل السادس من المقالة الثانية في المملكة الشامية وما يتصل بها من بلاد الارمن وبلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة مما هو مضاف الى هذه المملكة وفيه اربعة اطراف

الطرف الاول في فضل الشام وخواصه وعجائبه وفيه مقصدان الاول في فضل الشام الثاني في خواصه وعجائبه وهنا يذكر ما يراه فيه من العجائب كحمة طبريا ودفع العقارب بمدينة حمص وعين فوارة داخل البحر الملح على القرب من ساحل مدينة طرابلس ووادي التنور الى غير ذلك

الطرف الثاني في حدوده وابتداء عمارته وتسميته شاما وفيه مقصدان الاول في حدوده الثاني في ابتداء عمارته

الطرف الثالث في انهاره وبحيراته وفيه خمسة مقاصد الاول في ذكر الانهار العظام في بلاد الشام الثاني في ذكر بحيراته الثالث في ذكر جباله وهنا جاء فيه عن جبل عاملة ما هذا نصه

« وهو جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه سقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبا من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم

فيعرف بهم المقصد الرابع في ذكر زروعه وفواكهه ومواشيه والخامس في ذكر مواشيه والسادس في ذكر النفيس من مطعوماتها

الطرف الرابع في ذكر جهاته وكوره وقواعده المستقرة واعمالها وفيه مقصدان الاول في ذكر جهاته وكوره القديمة وهنا يذكر اصطلاح القدماء بتقسيمه الى خمسة اجناد جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين

المقصد الثاني في ذكر قواعده المستقرة واعمالها القاعدة الاولى دمشق واعمالها غزة والرملة وقاقون وهي الجهات الساحلية والجبلية وهي القدس والخليل ونابلس والقبلية عمل بيسان وبانياس ومضافات قلعة الصبيبة وعمل الشعراء وعمل نوى وعمل الزرعات وعجلون والبلقاء والصلت وصرخد وبصرى وزرع والشمالية وهي بعلبك وعمل البقاع البعلبكي وعمل البقاع العزيزي وعمل بيروت وعمل جبيل وعمل صيدا والشرقية وهي على ضربين الضرب الاول فهو داخل في حدود الشام وهو غربي الفرات ويشتمل على خمسة اعمال حمص ومصياف وقارا وسلمية وتدمر الضرب الثاني وذكر منها الرحبة وجعبر

القاعدة الثانية حلب وذكر اعمالها الساحلية والجبلية ومن اعمالها الرها

القاعدة الثالثة حماة وذكر اعمالها القاعدة الرابعة طرابلس وذكر اعمالها والخامسة صفد وذكر اعمالها وهي احد عشر عملا وهي عمل تبنين وهونين وجاء فيه عند ذكرهما * وهما حصنان بنيا بعد الخمس مائة بين صور وبانياس بجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة وجعل الشابي في تاريخ صفد قلعة هونين من عمل الشقيف واهل هذا العمل رافضة *

القاعدة السادسة الكرك وذكر اعمالها وهي الشوبك وزغر ومعان

الطرف الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن ملك البلاد الشامية وملوكها وهو على قسمين الاول ملوكها قبل الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى الكنعانيون الثانية الاسرائيليون الثالثة الفرس الرابعة اليونان والرومان

القسم الثاني من ملوك الشام ملوكه في الاسلام وهم على ضربين الضرب الاول عمال اصحابه (ص) فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين استيلاء الملوك عليه

الضرب الثاني من وليها ملكا

الطرف الرابع من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر احوال

المملكة الشامية وفيه مقصدان

المقصد الاول في ترتيب نياباتها على ماهي مستقرة عليه قال « قد تقدم ان الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد وكل مملكة منها قد صارت نيابة سلطنة مضاهية للمملكة المستقلة »

ثم ذكر كل نيابة واحوالها في المعاملات ونحوها على مثال ماذكره من احوال الديار المصرية في الفصل الخامس من الباب الثاني من المقالة الثانية

المقصد الثاني ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق وهو على ضربين الضرب الاول ماهو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات قال « وقد تقدم ان لدمشق اربع صفقات غربية وهي الساحلية والقبلية والشمالية والشرقية في الصفقة الاولى وهي الغربية عشر نيابات وخمس ولايات اما النيابات فمنها غزة والقدس والولايات فمنها ولاية الرملة واللد وقاقون وبلد الخليل ونابلس

واما الصفقة القبلية وهي الثانية ففيها نيابات وثمان ولايات اما النيابات فالاولى منهما نيابة قلعة صرخد ونيابة عجلون واما الولايات فالاولى ولاية بيسان وواليها جندي الثانية ولاية بانياس ، وواليها جندي تارة وتارة امرة عشرة الثالثة ولاية قلعة الصبيبة الرابعة ولاية الشعراء الخامسة ولاية اذرعات السادسة ولاية حسبان والصلت من البلقاء السابعة ولاية بصرى وواليها جندي الصفقة الثالثة الشمالية وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات فاما النيابة فنيابة بعلبك واما الولايات فالاولى ولاية البقاع البعلبكي الثانية ولاية بيروت الثالثة ولاية صيدا الصفقة الرابعة الشرقية وفيها ثلاث نيابات واربع ولايات

ثم ذكر نيابة حلب وهي اجل نيابة بعد دمشق ونيابة اطرابلس ونيابة صفد ومنها ولاية تبنين وهونين وولاية الشقيف

الفصل الثالث من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية وفيه طرفان الطرف الاول في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه الطرف الثاني في ذكر حدوده وابتداء عمارته الخ

وذكر قواعده وهي مكة المشرفة وهنا ذكر ملوكها قبل الاسلام وفي الاسلام وهم طبقات وبين ترتيبها والمدينة الشريفة وذكر نواحيها واعمالها وملوكها وامراءها قبل الاسلام وهم ثلاث طبقات الاولى التبابعة الثانية العمالقة الثالثة ملوكها من بني اسرائيل وفي الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى من كان بها في صدر الاسلام الطبقة

الثانية عمال الخلفاء بني امية الطبقة الثالثة عمالها في زمن خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة امراء الاشراف من بني حسين الى عهد المؤلف

ثم ذكر ترتيب المدينة الشريفة فقال اما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدراهم الخ

الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية وفيه اربعة فصول الفصل الاول في الممالك والبلدان الشرقية عنها وما ينخرط في سلكها من شمال او جنوب وفيه اربعة مقاصد الاول في الممالك الصائرة الى بيت جنكيز خان وفيه جملتان الجملة الاولى في التعريف باسم جنكيز خان ومصير الملك اليه الثانية في عقيدة جنكيز خان .

ثم يذكر ممالك جنكيز خان على التفاصيل وهي مملكتان الاولى مملكة ايران ويذكر حدودها واقاليمها وهي بابل والمدائن وبغداد وسر من رأى والاقليم الاول الجزيرة الفراتية الاقليم الثاني العراق وقواعدها ومدنها ومن المدن التي بالعراق هيت والحيرة والكوفة والبصرة وواسط وحلوان والحلة والنهروان والابلة والقادسية وعبادان

الاقليم الثالث خوزستان والاهواز الاقليم الرابع فارس الاقليم الخامس بلاد الديلم الاقليم السادس بلاد الجبل .

ثم يذكر بعد ذلك طبقات ملوكها جاهلية واسلاماً وترتيب هذه المملكة كعادته في غيرها .

المملكة الثانية مما بأيدي بني جنكيز خان مملكة توران . هذا جل ما في الكتاب من الموضوعات وندع الكلام عنه بتفصيل اكثر حتى نقف على آراء الباحثين فيه ولعل فيهم من لا يجهل اسم الكتاب واسم مؤلفه المجهولين لنا .

على اننا سنوالي البحث عن الجزئين المفقودين منه علنا نعثر عليهما والكتاب عثرت عليه انا وصديقي الاستاذ الشيخ احمد رضا .

النبطية — جبل عامل : سليمان ظاهر

✦

مرآة الشباب

ايصدفه الصفاء فيستريب   ويدعوه الفسوق فيستجيب
وتجليه الكؤوس فيجتنيها   شمولاً دون لذتها اللهيب
كأن لشاربيها اذ يحتسيها   دبيبُ حنينِ اعوزه الحبيب
يحرّق لونها اثر ارتعاش   بدا منه بجبهته قطوب
تحجب لبه استار غيّ   تكنفه المثالب والعيوب
مرى بحي العلاء فحين دانى   وورود حياضه لمح القريب
وحالت دونه اكواب دن   ترشفها فادركه الشحوب
فتى عبثت به ايدي التصابي   كما في الطير قد عبث الربيب
رماه بدائه واسل كوب   وهل يأتي بغير الغي كوب
وراقته مداعبة الغواني   فطار برشده الصوت الرطيب
ارته لحاظهن ضروب سحر   وللعادات من سحر ضروب
فبات كأن في اذنيه وقراً   اذا ناداه مرشده اللبيب
عليل ولا طبيب لما عراه   وهل يحمي من الموت الطبيب
اذا خطبته مكرمة تولى   وان نادته غانية يجيب
تناجيه الكؤوس فتنة دل   فيطرب وهو لولاها الكئيب
وتطوي عرسه الايام صفحاً   وساقيه بدرهمه لعوب
ترى الدينار يرقص في يديه   وقد اضنى بليلة طوى مذيب
اذا ما مومس خطرت تدلى   وتابع خطوها وله وثوب
يجن الى دنو فتاة سوء   وقد ضمت حليلته الكروب
ويؤنسه حديث ذوات تيه   وقد يحنه منهن القلوب
يناله جاره حتى اذا ما   تصرم هب يحدوه الغروب
تؤم به غوايته فيسعى   فلا نصب يقيه ولا لغوب
يجوب فناء غانية فقاراً   وما السوى الطري قفراً يجوب
ويركب متن حدثان الليالي   فيهوي حينما اشتد الركوب
يهب الى الشبيبة بعد عجز   ويهجرها اذا يبدو الشحوب

كأن شبابه كرة ازدهاه يطيف بها ومشرقه المغيب
كأن صباه عاث عليه فعاد من الحياة بما يطيب
كأن سنيه احلام صب صحا فاذا نضارتها تذوب
كأن حجاه غادر أصغريه وآلى في الشبيبة لا يؤوب

***

متى يدن المشيب يثب هداه اليه كأنما الموت المشيب
وزجر الشيب اعمل في نفوس من السمر اللدان اذا تصيب

دمشق : خير الدين الزركلي

مطبوعات ومخطوطات

ثلاثة كتب

كتاب الالفاظ الكتابية وكتاب الفاظ الاشباه والنظائر وكتاب الألفاظ

هذه ثلاثة كتب مختلفة العناوين ومختلفة اسماء المؤلفين والموضوع واحد والنص واحد والمؤلف الحقيقي واحد لكن قصر التسرع على ناشريها ان يصدروها باسماء مؤلفين هم غير كتابها او مصنفيها كما ترى .

فالعنوان الاول هو اسم الكتاب الذي تولى طبعه الاب لويس شيخو . فقد جاء في مفتتح السفر المذكور وهو الذي لدينا ما هذا نقل حرفه : «كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني . اعتنى بضبطه وتصحيحه الاب لويس شيخو اليسوعي . طبع رابعة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٨ برخصة نظارة المعارف الجليلة في الاستانة العلية . حق الطبع محفوظ للمطبعة . »

والعنوان الثاني هو اسم الكتاب الذي عني بنشره احد علماء بغداد واليك ما جاء في صدره : «كتاب الفاظ الاشباه والنظائر للامام اللغوي عبد الرحمن بن حميد الانباري عليه رحمة الباري . وهو كتاب لم ينسج على منواله ناسج ، ولم يسلك طريق منهاجه ناهج ، مشهور عند ارباب اللغة والادب ، منتزع من اوعية السنة العرب . قديم التصنيف ، عجيب الترتيب والتأليف ، سليم من الغلط ، حسن الاسلوب والنمط . وقد طبع بعد تصحيح ابي البركات خير الدين السيد نعمان ابن المفسر المشهور السيد

محمود افندي الآلوسي زاده ، مفتي بغداد ، حصل الله تعالى له كل مطلب ، ومقصد يراد ، آمين . — الجليل الأول — طبع برخصة نظارة المعارف في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ (هـ — ١٨٨٤ — ١٨٨٥ م) طبع في مطبعة ابي الضيا .

والعنوان الثالث هو اسم الكتاب المذكور على رواية صاحب كتاب الفهرست (أي ابن النديم الوراق) فقد قال في ص١٣٥ « عبدالرحمن بن عيسى الهمداني (بالدال المهملة) كاتب بكر بن عبدالعزيز ابي دلف . وكان شاعراً كاتباً وله من الكتب : كتاب الألفاظ » . وقال في ص ١٢١ من كتابه المذكور : « كتاب الألفاظ (وفي الأصل المطبوع الفاظ) هو مما [illegible] لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني » (بالدال المهملة) .

فأي العنوانين هو الاصح وما اسم المؤلف في التحقيق ؟

قلنا : اصح هذه العناوين هو ما ذكره ابن النديم لان المؤلف قديم وله الوقوف على اسماء الكتب والمصنفين ، وكل من يطالع كتابه الفهرست يشهد له بسعة الاطلاع وغزارة العلم فعندنا ان الكتاب هو « كتاب الالفاظ » وزيادة « الكتابية » هي من النساخ ، وزيادة الاجناس والظاهر انها من زيادة النساخ ايضاً من الواقفين على طبعه وطبعه فالاولى ان يعاد العنوان الى حقه بدون زيادة .

واما اسم المؤلف الحقيقي فلا جرم انه الاسم الذي اورده ابن النديم اي : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (بدال مهملة) وميم ساكنة نسبة الى همدان وهي قبيلة باليمن من حمير ينتسب اليها جماعات عديدة من العلماء . لا نسبة الى همذان بميم مفتوحة وذال معجمة التي هي اسم بلدة في بلاد فارس . ووهم الطابع في هذا الاسم عين . لكن وهم العلامة الآلوسي اعظم لانه وان كان قد كتب على اول صفحة من الكتاب انه لابن الانباري فكيف جاز له ان يكتب على رأس كل صفحة من متنه (وفي ص ٢ — ١٠) هذه الكلمات : كتاب الالفاظ لعبد الرحمن بن عيسى . فكان يجب عليه ان يطابق احد الامرين على الآخر اما ان يقول انه لابن الانباري في صدر الكتاب ، وفي مطاويه واما ان ينسبه الى ابن الانباري اولاً وآخراً . على انه [illegible] الاناة انه [illegible] . ومن غريب الامر ان الشيخ الآلوسي ذكر ترجمة ابن الانباري قبل ان يذكر مقدمة المؤلف وقد اورد هذه المقدمة قال فيها : « قال عبد الرحمن بن عيسى همذاني : الصناعات مختلفات . . . فكيف لم ير [illegible]

البين بين النسختين وهما واضحتان متميزتان . على ان الانسان اذا تذكر هذا الكلام المأثور : لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . تحقق ان اعظم العلماء قد يزل مع ما عليه من حسن النية واخلاص الطوية .

وفي نسب صاحب كتاب الالفاظ بعض الاختلاف فطبعة بيروت تقول في ترجمة عبدالرحمن وفي المقدمة : عبدالرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني الكاتب . وطبعة الاستانة تقول : « عبد الرحمن بن عيسى حماد وابن النديم يقول : « عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني » . فلا غرو ان اسم حماد داخل في نسب عبد الرحمن لكن هل ترى كان من اجداده ام لقب ابيه . فهذا مما لا يتضح الا بعد التنقيب عن هذا الاسم في عدة نسخ وفي ذكر نسب المؤلف كمعجم الادباء لياقوت . ولهذا لا نجزم فيه .

ومن غريب الامر ان طابع النسخة البيروتية مع وفرة اطلاعه على المطبوعات العربية في الشرق والغرب لم يذكر طبعة هذا الكتاب في القسطنطينية ، فهل كان منه جهلاً او تجاهلاً ؟ نقول : الاليق ان نقول انه فعل ذلك منه لان نسخة الاستانة وان طبعت قبل نسخته فانها لم تطبع الا قبل اربعة اشهر فقط ولما كانت مطبوعات الاستانة قليلة الشهرة لخلو الحاضرة من الجرائد العربية يومئذ فان لنا ان نتهم جهله لما يطبع هناك . وعلى كل فكان الاحرى به ان يذكر هذه الطبعة في النسخ التي جدد نشرها بعدئذ . ولعل الامر فاته بالمرة وهذا ليس ببعيد . اما بعد الآن فهو ليس بمعذور .

وان سألتني اي النسختين هي الفضلى : أألطبعة الآلوسية ام الطبعة البيروتية ؟

قلنا : عليك ان تعلم قبل هذا ان الطبعتين وان كانتا تتفقان بعض الاحيان تختلفان في اغلب المرار . وهذا الاختلاف موجود في الابواب وفي كثرة المواد . فانك مثلاً تجد تارة ابواباً غير مذكورة في الطبعة الآلوسية وهي مذكورة في الطبعة البيروتية وطوراً بالعكس . ثم انك تجد في الباب الواحد مادة وافرة في نسخة دون النسخة الاخرى . هذا فضلاً عن الاختلاف في تتالي الابواب وفي عناوينها ثم انك تجد في الطبعة الآلوسية اغلاط طبع لا تحصى كما ان اغلاط الطبعة البيروتية في اللغة كثيرة

وقبل ان نصدر حكم المفاضلة بين النسختين نذكر باب المعايب في كلتا الطبعتين ليمكنك ان تقبل حكمنا او ترذله بعد الاطلاع على مثال يكون لك بمنزلة قياس تقيس عليه ما ورد في كلتا الطبعتين

١ : جاء في الصفحة ١٢ من كتاب الالفاظ المطبوع في الاستانة ماهذا نصه :

باب المعايب

يقال ثلب فلان (حاشية : قال الواقف على تصحيحه : لعله فلانًا بالنصب ، ولكنه كتب بالدفع (كذا . وهذا من سهو الطبع والاصح : الرفع (في الاصل مصححه) قال صاحب هذه المقالة : الاصح ان يقال ثلب فلانًا . واما فلانٌ فمن غلط الناسخ لا غير) ، وقصبه ، وشتره ، وصرمه ، وسمّع به ، وندد به ، وشرّد به ، وسبعه ، وتنقصه ونابه ، وجدبه ، ووقع به ، وشعث منه ، والحم عرضه ، وقرع صفاته ، ورتع في عرضه وسبه ، وقذفه ، وورده الخنا ، واخذ من جنبه ، وقرع مسامعه ، ومزق اديمه ، وقرع مروته ، ونحت اثلته بالقبيح ، واخذ من عرضه ، واتبعه القبيح ، وذكر معايبه ، ومثالبه ، ومعايره ، ومشاينه ، ومناقصه ، ومخازيه ، ومساويه ، ومقابحه ، ومقاذره ، ومفاضحه ، وسوآته ، ومساآته . قالت ليلى الاخيلية :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى اذا لم تصبه في الحيوة المعاير

والقدح ، والخنا ، والرفث ، والفحش هو القبيح من الكلام . ويقال فلان بذي اللسان ، مقذف ، سباب . وقد بذؤ يبذؤ بذاءة . والازراء ، والطعن والقدح ، والتعييرة (كذا) والتعيير ، في طريق واحد . ويقال : كانت من فلان نواقر ، وبوادر ، وفوارص ، وشتائم . وقد سفه علينا فلان سفاهة ، ولم يكن سفيهًا . وتقول : نعوذ بالله من قوارعه ، وقوادعه ، ونواقره ، وقوارص لسانه .

٢ : وجاء هذا الباب في الصفحة ٣٠ من الطبعة البيروتية بهذه الصورة :

باب الثلب والطعن

تقول : مازال فلان يذكر معايب فلان ، ومثالبه ، ومساويه ، ومقابحه ، ومشاينه ، ومقاذره ، ومناقصه ، ومخازيه ، ومعايره ، ومساآته ، وسوآته .

قالت ليلى الاخيلية في المعاير :

لعمرك ما في الموت عارٌ على الفتى اذا لم تصبه في الحيوة المعاير

ويقال : ثلب فلانًا ، وتنقصه ، وسبه . ويقال : عيرته كذا ، ولا يقال بكذا .

قال النابغة :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل عليّ بأن اخشاك من عار

ويقال : نكرت على فلان ماصنع وانكرته ونكرته . (ومنه قول القرآن الجليل :)

نكروا لها عرشها اي غيروه .

ويقال : سبعه ، وجدبه جدباً ، وقصبه ، وجرحه ، وشزر به ، وشزر به ، وشنع عليه ، وصرصه ، وشعث منه ، وسمع به ، وندد به ، وزرى عليه . (يقال :) زرى فلان على فلان فعله اذا عابه ، وتنقصه زرياً ، وازرى به اذا قصره ازراء ، وقدح فيه ، وطعن عليه ، ونم عليه ومنه وفي عرضه سبه ، وقذعه ، وقفاه يقفوه ، وطاحه بقبيح اذا لطخه به ، ووقع فيه ، وقرع صفاته اذا قال قبيحاً في عرضه . ونحت اثلته ، واستطال في عرضه ، (والفحش ، والقذع ، والخنا ، والرفث ، القبيح من الكلام) . (يقال : فلان بذيء اللسان ، ملحب ، وسباب . والحمته عرض فلان اذا امكنته من شتمه . (والازراء ، والطعن ، والقدح ، والغميزة ، والتعبير (في طريق واحدة) . (ونقول :) قد كانت في فلان قوارص ، ونوافر ، وشتائم . (فتقول :) نعوذ بالله من قوارعه . ولواذعه ، ولواذغه ، وقوارص لسانه ، وبذيء فلان يبذأ ، وبذؤ يبذؤ بذاءة ، وقد سفه علينا سفاهة ، ولم يكن سفيهاً وقد سفه .

فانت ترى بين هاتين النسختين فرقاً ظاهراً . والصواب والغلط يتجاذبان الطرفين فمرة يكونان في هذه النسخة ومرة في تلك فتمسك انت بما يوافق الصحة .

وبعد هذا التبيين نقول : ان نسخة بيروت اصح طبعاً من نسخة الآلوسي . فان الاغلاط التي وردت في طبع هذه الاخيرة تنفر كل انسان من مطالعتها . ومع ذلك ففيها من الفوائد ما لا تراها في النسخة البيروتية . ولهذا يجدر بأحد الادباء ان يجمع بين النسختين ويصحح الواحدة على الاخرى ليكسب رضا الجميع في احياء مآثر السلف .

الخلاصة

كتاب الالفاظ (ولا يجوز لك ان تغير هذا العنوان بقولك : كتاب الالفاظ الكتابية . او كتاب الفاظ الاشباه والنظائر) هو لعبد الرحمن بن عيسى (بن) حماد الهمداني نسبة الى همدان القبيلة اليمانية المشهورة . وليس لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد الانباري ، لانك اذا علمت ان ابن الانباري ولد سنة ٥١٣ وتوفي سنة ٥٧٧ وان الهمداني توفي سنة ٣٢٠ وان من النسخ القديمة الكتابية التي ظفر بها الطابع البيروتي ما كتب سنة ٥٢٢ اي تسع سنوات بعد ولادة ابن الانباري فلا يعقل انه الف كتابه في هذا العمر . وعليه يجب تصحيح ما ورد من الخطأ والوهم في هذا الباب . فان تفعل تحظ بالصواب .

ساتنا

وصف كتاب جامع التعريب ، بالطريق القريب .

من تأليف احد علماء القرن الثاني عشر الهجري او السابع عشر الميلادي

في جامع مرجان من جوامع بغداد خزانة كتب جليلة من وقف نعمان الآلوسي المؤلف الشهير ابن المؤلف الكبير محمود الآلوسي . ومن كتبها الخطية كتاب اسمه جامع التعريب ، بالطريق القريب . الا ان صاحبه لم يذكر اسمه لا في صدر الكتاب ولا في عجزه . والظاهر انه كان من علماء القرن الحادي عشر للهجرة نقول ذلك تقريباً وتكهناً لا تحكماً وتثبتاً اعتماداً على كلام صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ و ١٦٥٧ م اذ يقول عن معرب الجواليقي : « وهو كتاب لم يعمل فيه اكثر منه » فالظاهر من هذا القول ان الحاج خليفة لم يعرف هذا الكتاب الذي نشير اليه لعدم وجوده يومئذ ، والا لما قال تلك العبارة . ثم ان مؤلف جامع التعريب لم يذكر كتاب الخفاجي لانه لم يره . او كان ممن عاش قبله لذكره ايضاً في مقدمته وعليه نظن ان الكتاب كتب في عصر الحاج خليفة والخفاجي نفسيهما

وهذا الكتاب من اوسع واحسن ما كتب في هذا الموضوع والنسخة الموجودة امامنا حسنة الخط طولها ٢٢ سنتيمتراً في عرض ١٦ وفيها ٣٦٠ صفحة وفي كل صفحة ٢٥ سطراً وهي مجلدة بالسختيان والكاغد الخفيف اللون . قال الناسخ في آخرها : تمت كتابته في سلخ جمادى الاولى سنة ١٢٠٣ بخط افقر الورى واحوجهم الى المولى القوي عبد الكريم بن احمد بن محمد الحلبي الحلواني الحنفي غفر الله له ذنوبه آمين .

واذا وقفت على مقدمته عرفت بعض مزيته . قال : « الحمد لله الذي صان بلغة العرب الكتاب والسنة . واظهر بها على غيرها من اللغات الفضل والمنة . ووضع من ائمة ضبطها الاصيل والغريب . وميز لهم ما وقع بها من الاعجمي وما فيه التعريب . احمده على التوفيق لسلوك الادب . واروم تحصيل فضائل العجم والعرب . اما بعد فاني بعد ان وقفت على كتاب المعرب ابتداع الاستاذ ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الجواليقي شكر الله مسعاه . وجعل الجنة مقره ومثواه . كان محتاجاً الى تتمة في الترتيب . وزيادات وتتمة في آثار المعرب . ظفرت بكتاب التذييل والتكميل ، لما استعمل في اللفظ الدخيل . الذي جمعه الفاضل الشيخ جمال الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد العزيز بن ابي بكر بن موسى العذري الزوقي الشهير والده بشبي

(ويروى بسيمي) بخطه · فوجدته والله قد اوزع الوسع في التتبع والاستشهاد · بهمة تقارب رتبة الاجتهاد · بل احسن فيه الجمع وحسن الترتيب · معونة للطالب والاديب · غير ان فيه تكراراً واطالة ربما تفضي الى الكسل والملالة · فاحببت ان اختصر من الاصل مازاد حريًا على المألوف والمتعارف والمعتاد · مع رعاية الاختصار والايجاز · وتبيين ما يتحقق به الاحاطة والامتياز · مع زيادات وحسن تلخيص · تباعداً عن الاسهاب والتمحيص · وسميته : جامع التعريب · بالطريق القريب · والله اسأل المعونة والتوفيق ·» — ثم قال : باب الهمزة مع الالف : آب وهو يكتبها هكذا آاب اي بالف ممدودة وراءها الف هاوية كما كان يفعل الاقدمون في مثل هذه الالفاظ · ثم يذكر بعدها آاحاص · آاجر · آاحنقان · آاذار · آادم · · · الخ · وهو يشرح كل لفظة شرحاً مشبعاً لا يبقي لمستزيد زيادة ·

الا ان الناسخ وان كان حسن الخط وخطه تعليق الا انه لا يحسن النسخ ولهذا فقد مسخ الفاظاً كثيرة حوله معناها فصورها بصورة مألوفة السمع سهلة الفهم لكن لا تنطبق على بقية العبارة · فلهذا يحتاج القارئ الى التيقظ التام في تصفح الكتاب · وفي شرحه بعض الالفاظ شروح ضافية الذيل ، نقلاً اياها عن عدة كتاب سبقوه مما يحرص عليها كل الحرص · وربما خرج في كلامه الى ما لا محل له كما كان يفعل المصنفون في سابق العهد · — والمؤلف قد ادخل في سفره الفاظاً جمة لم ترد في معربات الجواليقي ولا في شفاء الغليل ولا في غيرهما من مؤلفات هذا القبيل · ولهذا نرى طبعه من الضروريات · وربما ذكر في كتابه اعلام المدن والرجال لكنها دون الالفاظ الجنسية عدداً واعتناء

وقد حان لنا ان نعطي مثالاً من كلامه ونذكر ما جاء في « ابو جاد » من الشرح وقد ورد في الصفحة ١١ من النسخة المذكورة · وهذا نصه بحرفه :

أبو جاد لفظ سرياني قيل هو اسم ملك من الاول وكذا هوز · حطي وقيل اسم لاول ايام الاسبوع قال سيبويه · ابوجاد وهوز وحطي بياء مشددة اسماء عربية واما كلمن وسعفص وقريشات (١) فانهن اعجميات لا ينصرفن وانشد:

اتيت مهاجرين فعلموني   ثلاثة احرف متتابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا   تعلم سعفصا وقريشات

---

(١) والاصح ان يقال هنا قرشت

قال ابو سعيد السيرافي في اصل سيبويه يدل ان ابا جاد وهوز وحطي يجعلهن اعجميات . وكان ابو العباس يجيز ان يكن كلهن اعجميات . وقال بعض المحتجين لسيبويه : انه جعلهن عربيات لانهن مفهومات المعاني في كلام العرب . وقد جرى ابو جاد على لفظ لا يجوز الا ان يكون عربياً تقول هذا ابو جاد . ورأيت ابا جاد . وعجبت من ابي جاد . قال ابو سعيد : والذي يقول انهن اعجميات غير مبعد عندي ان كان يريد بذلك الاصل فيها المعجمة لان هذه الحروف عليها يقع تعلم الخط بالسرياني وهي معارف . وقال بعضهم : جاد في قولك ابو جاد مشتق من جاد يجود فهو من الجواد وهو العطش او من قولهم جوداً له اي جوعاً له ! ووقع الناس في ابي جاد الى كل باطل . قال الامام قطرب : قولهم ابجد هو ابو جاد والالف حذفت , [illegible] فكره الخط , وفي التكرار والفائدة لكل حرف [illegible] الكتبة ابجد بغير واو والف لان الالف في ابجد والواو في هوز قد عرفت صورتهما وكل ما قل من الحروف استغنى عن العادة . قال ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني يقال : ان اول من وضع الكتابة العربية قوم من الاوائل نزلوا في عدنان بن أدد فتعربوا ووضعوا هذه الكتابة على عدد حروف اسمائهم فكانوا ستة نفر اسماؤهم : ابجد . هوز . حطي . كلمن . سعفص . قرشت . واسماؤهم ملوك مدين ورئيسهم كلمن اهلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت اخت كلمن ترثيه :

كلمن هدّ ركني هلكه وسط المحلة (1)
سيد القوم اتاه الحتف نار وسط ظله
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله

هذا وقد زعم الصفدي ان حمزة قال هذه الابيات في كتابه التنبيه على حدوث التصحيف . وليس كذلك ثم وجد ما جاء بعدهم حروفاً ليست من اسمائهم وهي ستة الثاء . الخاء . والذال والضاد والظاء والغين فسموها الروادف . ويدل على كون ابجد وما بعدها اسماء رجال وضعوا الكتابة العربية [illegible] كون هذه الكلمات الواقعة على حروف الهجاء لم تزل مستعملة على مر الدهور عند كل امة وجيل من سكان الشرق والغرب متداولة في الاعداد العمومية , وكذا هنا عند السريانيين ففي الاصل الحسابي

---

(1) ويروى : كلمن هدّ ركني . هلكه وسط المحلة

يتعلم منه الهجاء «١» وتبعهم في ذلك الاسرائيليون من اليهود والنصارى يدرسونه صبيانهم في كنائسهم قائلين هجاء العبرانية الف · باء كمل · دالث · يتبعونه بما بعده على حكاية لغتهم وهذا هو الذي عربه عرب الاسلام فقالوا ابجد مكان الف · باكمل · دالث · قال ابن دريد : في حروف الهجاء العربي حرفان لايجريان الا في لسان العرب ولا يوجدان في لغات سائر الامم وهي الظاء (٢) والحاء وحواس في اعاه انها موجودة في السريانية والعبرانية والحبشية وقيل الضاد لاتقع في لغة الروم كما ان الضاد لاتقع في لغة الفرس (٣) والدال لاتقع في لغة السريانيين كما انه لايقع في لغة العرب لام بعدها شين وكما لايقع فيها حرفان من حروف الهجاء لفظهما واحد متجاورين في اوائل الاسماء نحو شش كك وقد يقعان في اواخرها نحو تكك ومشش الا في اسماء اصلها فارسية ككوبيك (٤) وددان كما انه لايقع الدال في لغة الفرس في اوائل الاسماء والافعال وانما تقع في اواخرها واواسطها وكون اصل الهجاء العربي مؤسس

---

(١) قلت : ليست هذه الحروف اسماء ملوك ولا اسماء ايام الاسبوع في سابق العهد · كما انها ليست بالفاظ عربية الاصل ولا هي معارف او نكرات ولا هي اعلام واضعي الكتابة العربية ولا··· ولا··· ولا··· وانما هي كلمات جمعت فيها حروف المعجم تسهيلاً لحفظها متتابعة على الترتيب الذي وضعه لها الفينيقيون في اول عهد تدوينها حروفاً مقطوعة عن صورها الاصلية التي كانت تصور بها · وقد فعلوا ذلك ايناساً للمتعلم بالفاظ مستعملة في شيء من المعاني بدلاً مالهم من تركيبات مهملة هجائية لامعنى لها في ذاتها · وقد قطعوها تقطيعاً يحصل منه معنى عند العرب ليتيسر حفظها وهناك من آراء كتاب العرب ماتراه مبسوطاً في كتاب الف باء للبلوي والقاموس للفيروزابادي والتاج للسيد المرتضى ومروج الذهب للمسعودي ومقدمة ابن خلدون وغيرها لغيرهم · وقد ضربنا عنها صفحاً لانها كلها من هذا الوادي الغريب · — هذه الحاشية لي · لكن في النسخة الخطية حواش لرجل اسمه « رباضي » وكل مرة تكون الحاشية له نجعل في آخرها « رباضي » لكي لاننسب اليها ماهو الى غيرنا · فليحفظ ·

(٢) كذا والاصح الضاد

(٣) وقد يوجد حرف الصاد في لغة الفرس حتى قالوا « صد » بمعنى المائة وهي بالسين في الاصل كذا في اللغات الفارسية (رباضي)

(٤) ولعل الاصح : ككوبيان

على ٢٢ الف بجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت فكلم نومي ، ه وقياس ابتث والف من حروفها و ا وجعل تجري في العربية مجرى ابجد في السريانية لكن هذا الخبر صادر عن رجل كان يولد الاخبار على الامم التي ابادها الدهر كطسم وجديس واضرابهم واذا احتاج الى توليد شعر يؤكد بها تلك الاخبار خرج ليلتمس من يحسن الشعر من الاعراب تعديره ان يقول شعراً من خمس سوانه فكانوا يعملون مثل ما ويلحد ونحو وهذا الرجل هو الذي ادعى على آدم عليه السلام انه انشد

تغيرت البلاد ومن عليها　　فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون (١)　　وقل بشاشة الوجه المليح
وبدل اهلها اثلاً وخمطاً　　بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس يفنى (٢)　　لعين لا يموت فنستريح

(٣) فلولا رحمة الرحمن اضحى بفقد من جنانا الخلد ريح (؟) كذا . والاصح بكفك

فيا اسفاً على هابيل ابني　　قتيلاً قد توسد في الضريح

فنسب معاياته (٤) الى نبي الله شعراً ركيكاً جافي الركن ضعيف الاسر ذا اقواء . مع ثبوت ان الاقواء من اقبح عيوب الشعر وعدم مطابقة قوله تغيرت البلاد ومن عليها ولو كانت تلك البلاد ومن كان عليها اذ ذاك . على ان هشاماً قال في كتابه التيجان بعد انشاده هذا الشعر : قال وهب ابن منبه ليس هو الى آدم عليه السلام بل هو تحويل اليه وجود عليه (كذا) واختلف منه من قال ان الجن اجاب عنها بقوله :

---

(١) ويروى تغير كل ذي حسن وطيب . وقل . . . ويروى ايضاً : تغير كل ذي لون وطعم . وقل . . . (راجع تاج الطيب ١ : ٣٦) ومروج الذهب (طبع باريس ١ : ٦٥) .

(٢) ويروى ينسى .

(٣) ويروى بعد ذلك :

وقتل قابين هابيل ظلماً　　فوا اسفاً على الوجه المليح
فمالي لا اجود بسكب دمع　　وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غماً　　وما انا من حياتي مستريح

(٤) والاصح معاياته اي كلامه الذي لا يهتدى له .

نَمْ عن البلاد وساكنيها فقد في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت تعيش ذا نوحك في رخاء وقلبك من ذوي الدنيا قريح
فما انقلبت مكابدتي ومكري الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار اضحى بكفك من جنان الخلد ريح

ولعمري كم من مفسر ومؤرخ يذكر هذا الشعر ولم ينبه على ضعفه ووضعه فكم ترك الاول للآخر . وكم دام من السخف على الخواطر . وقد جاءت روايات غاربة من الحال (١) محققة للحال من الانبار الى الحيرة ثم من الحيرة الى مكة والطائف وتؤيده ما روي عن يحيى بن جعدبة انه قال سألت المهاجر بن من اين صارت اليكم الكتابة بعد ان لم تكونوا كتبة فقالوا من الحيرة فسألنا بعده من اهل الحيرة ممن اخذتموها فقالوا من اهل الانبار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي : ان الناقل لهذه الكتابة من العراق الى الحجاز حرب بن امية وكان قدم الحيرة قدمة فعاد الى مكة بها . قال : وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة . فقال من اسلم بن سدرة وقال سألت اسلم ممن اخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة فحدوث هذه الكتابة للعرب قبيل الاسلام صحيح يؤيده حدوث آلات لهم لم تكن قبل كالخطاب والشعر والبلاغة فانها قريبة الميلاد من اقبال دولتهم وقد كانوا عبروا الدهر الطويل وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون وكان لحمير كتابة يسمونها المسند منفصلة غير متصلة وكانت مباينة لكتابة العرب على حدة في اللغة والدين لبعد الدار من بلادهم في منقطع العرب على شاطئ البحر حيزاً للحبشة والزنج وكانوا يحظرون تعليمها على العامة مع انه كان لا يتعاطاها الا من اذن له في تعلمها فلذلك دخلت دولة الاسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب . . .

وجل كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة وهي العربية والحميرية والفارسية والعبرانية واليونانية والرومية والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية والسريانية فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الحميرية والقبطية والهندية واليونانية والصينية واربع مستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية واما

---

(١) الحال بمعنى الحالي من الحلية .

العبرانية فنون واحد لا تنقص وانما تغير بعض من اقلامها مثل التجويد او التعليق · واما الفارسية فسبعة فنون على ما ذكره ابو جعفر محمد بن المؤيد المتوكلي قاله زعم ان الفرس كان لهم على ملكها متفرقين في اصناف اراداتها كتابات سبع كتابات وهي رم «١» دفيره وكشتة «٢» دفيره ونيم كشته «٣» دفيره · وفروده «٤» دفيره · وسف «٥» دفيره · فمن الاولى الكتابة العامية والثانية الكتابة المميزة والثالثة الكتابة المميزة نصفها والرابعة كتابة الرسائل والخامسة كتابة السر وكانت كالترجمة والسادسة كتابة الدين وكان يكتب بها قرآنهم وكتب شرائع دينهم والسابع جامع الكتابات يشتمل على لغات الامم من الروم والحبشة والسند والهند والصين والترك والنبط والعرب وكانت كتابة العامة من بينها ترسم بثلاثة وعشرين شكلاً لكل منها اسم على حدة نحو ما يقال في الخط العربي خط التجاويد · وخط الثلث · وخط القراطيس · وخط التحرير وخط التعليق وكانت صناعة الكتابة ذات اسماء مختلفة تلزم فنون طبقات الاعمال وقد نسي اكثر اسمائها لكثرتها فقد كانت غير ذلك قد درست وصاروا يستعملون منها هذه الانواع السبعة كما كانوا يستعملون في المخاطبات اللغات الخمس الفهلوية والدرية والفارسية والخوزية والسريانية · فالاولى كان يجري بها كلام الملوك في مجالسهم وهي منسوبة الى فهلة الواقعة اسماً على خمسة بلدان وهي : اصبهان والري وهمدان وماه نهاوند واذربيجان والثانية لغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك وهودر الفارسية والغالب عليها من لغات اهل المشرق لغة اهل بلخ والثالثة كان يجري بها كلام الموابذة ومن كان مثلهم من كور بلاد فارس والرابعة منسوبة الى خوزستان وكورها الثلاث وبها كان يتكلم الاشراف في الخلوات كالتعري في الحمام والابزن والمغتسل والخامسة منسوبة الى كور بلدسورستان اعني العراق والسريانيون هم النبط وبها كان يجري كلام حاشية الملك عند الناس الحوائج وشكوى الظلامات وكانت للفرس كتابة العصا تحكمها السلماني وكانت ملوك الفرس تودعها الاسرار في مخاطبة خواصها وعمالها بلا خط ولا مداد ولا ما يجري مجراهما وانما كانت تعمد الى جلد ابيض فتقد منه سيراً طويلاً ثم تعمد الى عصي القنج او المكاري فتلف السير عليها وتقيم حروف التحرير بعضها الى بعض ثم تدخل مسامير وتركبها عليها ثم تكتب فاذا

«١» ويروى رم دبيريه «٢» ويروى كشه دبيريه «٣» ويروى : ايم كسته دبيريه «٤» ويروى وفروده دبيريه «٥» ويروى وارسهريه

انتهت الكتابة حلت تلك المسامير وكشف ذلك السير عن العصي فكان ما كان منها الا نقط متفرقة ثم تلف السير وتجعل كالطبق ويقال للمكاري اذا نزلت منزلا فضع طعامك عليه لئلا يلحق طعامك فيكون هذا دأب الرسول الى ان يبلغ المكتوب اليه فيرد لف السير على العصي كما كان رسم بان يجعل الثقب التي في السير تجاه الثقب التي في العصي ويشك المسامير في الثقب ثم يضعها عند المكتوب اليه فهذه الكتابة التي كانت اذا ضم بعضها الى بعض امكن قراءتها واذا نشر زالت صورتها وتعذرت قراءتها وسئل احمد بن علي المتوكل عنها فاخذ درجاً من كاغد فكسر منه شبيهاً بورقتين وضم اثناء بعضها الى بعض ثم كتب عليه شيئاً يقرأ ثم نشره وبسطه فصار في كل موضع من الورقتين كالعلامة والنقطة فهذا الذي اريد بقول الشاعر :

اي كتاب بالطي تعرفه وعند تبيين احرفه
والنشر مما يزيل صورته وكتبنا كلها تخالفه . اهـ بحرفه

فانت ترى من هذا المثال ، الطويل المقال ، الواسع المجال ، ان هذا الكتاب الجليل من احسن ما صنف في هذا القبيل . ولاسيما لان الكاتب قد احاط بكثير من الالفاظ التي لم يذكرها من سبقه الى هذا الموضوع . بل لم ينوه بها من جاء من بعده . ولهذا نتمنى ان يخرج هذا التصنيف النفيس الى عالم المطبوعات . لينتفع به محبو اللغات . ويقف على بعض محتوياته مما لا يوجد في كثير من المصنفات . فيبعث الله اديباً فاضلاً يعنى به . انه عظيم كريم .

بغداد : ساتسنا

* * *

تقارير المجمع العلمي السميثوني

عن سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ — ١٩١١

Annual Report of the Smithsonian Institution
1909—1910—1911

عودنا هذا المجمع الاميركي ان يتحفنا كل عام بتقرير عن اعماله السنوية وذلك بكتاب ضخم يخصص القسم الاكبر منه لنشر ما يظهر في عالم المطبوعات من الابحاث والمحاضرات العلمية سواء ظهرت في اوربا او اميركا . وامامنا الآن ثلاثة من هذه

فالتقرير الأول لسنة ١٩٠٩ نرى فيه من الابحاث بحث في مستقبل العلوم الرياضية وبحث فيما ذا يعزى التأشيد وآخر في تقدم الطبيعيات وآخر في مسألة الدارعين من الوجهة الحربية وآخر في مذنب هالي وعودته وآخر في طبقة الهواء العليا وآخر في المطيرات وغيره في التصوير الآلي وفي الفاكين وفي حفظ الموارد الطبيعية ورحلة البعثة البريطانية الى القطب الجنوبي وآخر في رسم بحر غرينلاند ورحلة في افريقية من النيجر الى النيل وعاديات في وادي الفرات وغيره ومقتطف الخطاب للسر وليم ولكوكس في الجمعية الجغرافية الانكليزية - ومقال في النشوء الموالي ومذهب داروين - وآخر في قدم الانسان في اوربا وآخر في نسبة الغزل الى حياة الحشرة وآخر في نسبة الحشرات الى الامراض وآخر في المقاومة الطبيعية للامراض السارية واسبابها وهذه الابحاث كلها من اقلام نخبة رجال العلم في اوربا واميركا.

اما تقرير سنة ١٩١٠ فهو كالذي سبقه في الحسن والاتقان وان كان اثقل واضخم من الاول ورقاً . ومواضيعه بحث في تواريخ البسط والسجاد وفي تقدم فن الطيران حديثاً وآخر في الاجتماع الاثواسي الكبرى في جنوب الولايات المتحدة وآخر في القوة الكهربائية من نهر المسيسبي وآخر في وسائط التأمين في معامل الفولاذ في الولايات المتحدة وغيره في نقل الرسوم بواسطة التلغراف اللاسلكي والاشكال والاوراق الحديثة في تركيب المادة التي حدثت في وسائط تجربة الفرقعات الالكترونية ومسائل فلكية في المناطق الجوية واصلاح الارض للزراعة في المستقبل - وهذا الثالث بحث في معرفة نوع الجليد وآخر في ... عن الماء . ونظرة من الوجهة الاقتصادية والجغرافية في الشعوب السلافية الحاضرة - وآخر في سكان الكهوف في العالم القديم والحديث - ومقالة المزارع الصحية والبيئة والأشجار.

ويحوي تقرير سنة ١٩١١ كغيره ابحاثاً مفيدة في الطبيعيات والفلك والحيوان والكيمياء وطبقات الارض وحفظ الصحة الى آخر ما نشر من الموضوعات العلمية خلال تلك السنة.

وهذه التقارير في الجملة غنية في الافكار والسنة مزدانة بالرسوم حسب ما تتطلبه الابحاث والاغراض التي تنشر وفي هذا المعهد العلمي سنة عن سنة نعم الله العلم به واكثر من امثاله في العالم - وليت هذا الشرق العربي اتانا بمعاهد في الادبيات لجعلوا من عالم الادبيات والخطابيات؟

اخبار وافكار

ايطاليا والاسلام

قال لنا ذات يوم احد علماء المشرقيات من الالمان أتدري السر الاعظم في غلبتنا الفرنسيس في حرب السبعين فذكرنا له ما حضرنا من الاسباب فقال : لا هذا ولا ذاك وانما كنا معاشر الالمان عارفين باحد جيراننا حق المعرفة اما هم فكانوا يجهلون حقيقتنا ولذلك كتب النصر لنا .

ولقد حملت مجلة العالم الاسلامي الباريزية مقالاً لمسيو العوان كاتون من مستشرقي فرنسا تحت عنوان « ايطاليا دولة اسلامية » ذاكراً طلاب المعرفة ليعلموا لاجل ان كل امة لا تعرف ما عند جارتها تطلبها كما طلب الالمان الفرنسيس وان التمجد بالقديم وحده دون ان يكون لصاحبه شيء من دواعي التمدن الحقيقي الطريف مما يلقي الامم من ثم العز الى دركات الذل والاستعباد في بسوس ان يعد له قوة تعادل قوة الغرب يردونه عنا ويقضي عليه سنة الله في خلقه . قال العالم الفرنسوي :

ان معاهدة لوزان الاخيرة التي اعترفت بممتلكات ايطاليا الفتاة في ليبيا قد ادخلت ايطاليا في مصاف الدول الاسلامية فان الرأي الحرب بين ايطاليا والعثمانية في المسألة العثمانية البلقانية كل التأثير فقد اثرت في مكانة ايطاليا وجودها ووجهتها السياسية والاقتصادية ايضاً . واعتبرت حملة طرابلس حادثاً جديداً لقسمة القارة الافريقية بين الدول الاوربية وعنواناً حديثاً لسلطان المدنية الغربية الطامعة الحربية على العقلية الشرقية .

وراحت ايطاليا مدفوعة بعوامل التذكارات الماضية وما اصابها من الفشل بين جاراتها ومنافساتها تريد الظهور في التشمير الى قيادة بلاد البحر المتوسط .

وما من حرب منذ سنة ١٨٥٩ وقعت موقع القبول عند الشعب الايطالي مثل حربها الاخيرة استقبلتها الامة الايطالية بالبهجة على اختلاف طبقاتها ومن النساء من ارسلن ثلاثة اولاد لا راجعين الى ديار الحرب وخرجن يودعنهم ويقلن « لتحي الحرب » فلقيت الحملة في ذهابها وايابها من ضروب الاكرام في بلادها شيئاً كثيراً ولا تسل عن فرح القوم يوم شاهدوا ابناءهم الذين يحملون شارة الاستعمار الجديد وربما كان ابناؤها في المستقبل جيش ايطاليا الاسود .

وحدث ماشئت ان تحدث عما صدر في ايطاليا من الكتب والرسائل والصحف في وصف طرابلس وبرقة وما الى ذلك يوم نادت ايطاليا : هيا الى الحرب وعضدتها الصحف والحكومة على اختلاف صبغاتها في هذه الدعوة لا ليكون لايطاليا مجد ومصرف اقتصادي فقط بل لتكون على قيد غلوة من بلادها اراض مخصبة يزرعها ابناؤها الذين يكثرون كثرة زائدة ولذلك كانت ايطاليا تعد بحماسة فلاحيها سذاجة اقل حرص يعود من ليبيا وكيسه على ظهره كما كانت تعد لاقل نقد يأتيها من الخارج .

فالاسلوب الفني العظيم الذي وفقت اليه ايطاليا لوضع الحرب اوزارها قد انهى تجنيد الامة الايطالية . بعثت ايطاليا مئة الف مقاتل على اسطولها القاره لتقضي كل القضاء على الاتراك والاعراب ممن لم يتيسر لحماستهم الدينية وحبهم للاستقلال ان يثبتوا امام الاساليب المنظمة والسلاح والجند والنظام .

اغتبطت ايطاليا بفتح طرابلس وبرقة واثبتت انها الوارثة الوحيدة لمملكة رومية التي كانت الحاكمة على العالم في القديم وحققت امانيها منذ خابت يوم ضمت فرنسا تونس اليها سنة ١٨٨١ وانهزمت في الحبشة سنة ١٨٨٦ لانها عادت فاصبحت مملكة مستعمرة بما فتحته من ليبيا التي فتحتها رومية منذ الزمن الاول ايام كانت ضفاف البحر المتوسط للروح الايطالية مجازاً تعبرها كما كانت الآستانة مجازاً للروح الصقلبية « السلافية » .

ولقد طمحت ايطاليا في كل زمن الى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت اولاً القوة والسلام الروماني ولما انحلت عرى هاتين المدتين تحت ضربات البرابرة عادت توجه وجهها الى تلك الوجهة ايضاً لا الى الشمال فكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية وامالفي وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بأن يعنوا بالاتجار باقمشة الهند وفارس وحريرة العرب وافاويهها وابازيرها بل اخذوا برزانة يؤيدون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة وكان من انتشار الاسلام وقوته في القرن الثامن ان ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية ايام عظمتها ضربة شديدة فاحتقر المسلمون ايطاليا على نمو مدارك ابنائها ومرونة اخلاقهم واغاروا عليها فادخلوا على قلوب اهلها الهول والفزع فكان الجلاد عظيماً ولئن وفقت ايطاليا الى طرد العرب من صقلية فان نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجهت وجهتها الى آسيا الصغرى .

وكان من الحروب الصليبية ان تهيأت لايطاليا اسباب الاغتنام فان هذه الغزوات وان كان بابوات رومية هم الذين املتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الايطالي بما عرف به من الحنكة الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة اكثر مما بذل من الشجاعة

فاقتصر الايطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش اوربا الى آسيا وبينا كان ملوك الامم الاخرى تقيم ممالك صغرى في الارض المقدسة كان الايطاليون يقطفون ثمرات تلك الحملات . وقد ثبت هذا الدهاء السياسي الايطالي في الحملة الصليبية الرابعة فانه اتيح جنوة وبيزا ان ربحتا كثيراً واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك اراض خصبة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الاستانة . ولما سقطت القسطنطينية في ايدي محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حالت دون هذا السير النافع ومع هذا فان البندقية بما اتته من عجائب المهارة وحسن الألق بل بجهادها الطبي قد احتكرت جميع تجارة اوربا مع الشرق .

وبهذا الاحتكاك غير المنفصل تمت البندقية على قوتها الحربية والتجارية معرفة الشعوب الاسلامية حق المعرفة اكثر من كل اوربا وكان من العادة الجارية مع جماعة التجار من ابنائها ان يتكلموا التركية والعربية ويألفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية ولكن جاءت قوة في القرون الثلاثة التالية اكثر من قوة البندقية على ما لها من الصلات التجارية مع العناصر الاسلامية فزادت عليها لانها روحية تطمع في امتلاك العالم ونعني بها « البابوية » .

فان سلطة كنيسة رومية قد استطاعت ان تمتد الى الخارج ويكون لها سلطان اعلى من التاج حتى انها في عهد غارات الجرمانيين كانت تحاول ان تنقض ذات يوم تلك قياد الوحدة وحب الاستيلاء الذي سقط بسقوط دولة القياصرة فاحكمت صلاتها مع المسيحيين بل ومع الوثنيين في الشرق ممن تطمع في تنصيرهم وادركت كل الادراك الخطر الناشئ من امتداد كلمة الاسلام على اوربا المسيحية . ومع ان الحملات الصليبية قد اخفقت وقوة الايمان عند الملك في القائمين بها ما برحت كنيسة رومية الى اوائل القرن السابع عشر تطالب باعمال اخرى وفي هذا العهد كان الضعف اخذ ينال الصليبيين .

بيد ان رومية شعرت في الحملة الصليبية الثانية ان السيف وحده غير كاف في مثل هذا الجهاد ورأت ان تعارض التعصب الاسلامي بطوائف متناسكين في التقادم من

فيوري الاوربيين او الشرقيين لنظام او سائل المسلمين قطعاً ادبياً بعد ان اوقفتهم عن سيرهم المادي . وما فتئت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تنصير جميع الشعوب الآسيوية التي غلبت على وثنيتها فبعثت الى بلاد المسكوب وفارس وارمينية والتتار والتبت ومغوليا والصين والاحبش الهندي وفوداً من اهل الذكاء والحماسة ممن خلعوا اثار رحلاتهم ومذكراتهم اليومية عهدت اليهم ان يسبروا غور امراء تلك البلاد ليستميلوهم او ليحالفوا رومية على الاقل ضد المسلمين . وكان نصيب مصر والحبشة ايضاً البحث عن مثل هذا الشأن .

وفي تلك الرهبنات العديدة التي انشئت مثل الدومينيكانيين والفرنسيسكانيين واليسوعيين والكبوشيين والكرمليين والعازاريين ليكونوا جنداً عاملاً في خدمة امام الاحبار وللفتح تلك البلاد للتحول النصرانية اليها فانبث جيش من الرهبان على اختلاف مظاهرهم في طرق آسيا وافريقية الداخلية لاختراقها ونشر الانجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية بحسب القانون بالامر اولاً ولم يهتدوا لاحسن الطرق في العمل فتهافت الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون يجودون بارواحهم ويصبرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الاسلامية في افريقية الشمالية الى الدين المسيحي وكانت الطرق التي عمدوا اليها على محض قلبها ممزوجة بكثير من الجهل فشعروا في الحال ان الضرورة تقضي على من يريد دعوة احد الى دينه ان يتكلم بلغته على الاقل ليتفاهم الداعي والمدعو فنادى القوم من كل مكان بضرورة انشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايمند لول داعيتها الذي لم يثنه تعب ولا نصب .

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان برئاسة اكليمنس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسلامنكة دروس عربية وعبرانية وكلدانية من شأنها تخريج وعاظ واهل جدال لمداراة المسلمين واليهود . وانشأ الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون في اديارهم دروساً من هذا القبيل ليعدوا رهبانهم لنشر الانجيل . ومنذ ذاك العهد اصبحت ايطاليا مهد حركة تحدث في المشرقيات واهتموا بنوع خاص بدرس العبرية للتعمق في فهم اسرار التوراة ونصح اليهود واللغة العربية لتنصير المسلمين وكان اساتذة العبرية يستخرجون باغلب العلماء الربانيين واساتذة العربية كانوا ممن رحلوا الى بلاد اللغة التي اخذوا يدرسونها ويستصحبون معهم معيدين اما من الطليان او من السوريين الموارنة ممن كانوا يعلمونهم العربية بالعمل ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة ان

ينقلوا من اللغة العامية الى اللغة الفصحى لينشد ساعدهم في فهم المسائل الفلسفية ويرد حجج الطاعنين بالعرب طعناً ادبياً .

ومن اجل هذه الغاية اهتموا ايضاً بمصر والحبشة ومن مدارسهم نشأ العلماء الأولون من الاقباط والحبش والآخرين ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحركة الفكرية في شبه جزيرة ايطاليا فكان ينظر الى تعلمها انه من الحاجات المادية لكل تجار المدن البحرية . فقد وضع احدهم سنة ١٢٦٥ باللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا وبقيت العربية مألوفة في عدة اماكن من ايطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية فكانت في بلاط فردريك ثم رجاله وهو هوهنستوفن وفردريك الثاني ودي منفرد لغة العلم العالي والشعر والادب . وما كانت العربية على ما فيها من القصائد القيمة المقصدة والعواطف المؤثرة لتحمل امثال شارل دانجو على تحمسه لدينه ان يخاف عاديتها بل كان الاطباء والمنجمون في قصره اما من الاسرائيليين او من المسلمين المخلصين في عقائدهم وكان القصر هو الطريق الذي سارت به الفلسفة العربية عندما قام جيرار دي كريمون الشهير في اوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة فردريك الثاني بترجمة بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف .

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم موسى من اهل بلرمة من العربية الى اللاتينية كتاب ابقراط في امراض الخيل ثم سرت فلسفة ابن رشد من امثال هذه الطرق ولم تلبث ان صادفت قبولاً بين فلاسفة ايطاليا حتى شكا من ذلك جهاراً بترارك في القرن الخامس عشر اذ رأى في مقدمة فلسفة ابن رشد دليل الالحاد والازدراء باليهودية واللاتينية . وكثير من الادباء والعلماء من غير طبقة الرهبان كانوا يرون من موجبات الفخر في القرن التالي ان يدرسوا اللغة العربية . الى ان في سنة [illegible] لامبراطور [illegible]

ولما توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين حتى قيل انه يترجم القرآن باحدى اللغات الغربية فان عشاق العربية كانوا يرون من الحيلة ودواعي الغيرة ان يخرجوا انفسهم عن ترجمة رسائل في الطب ينقلونها عن العربية اذ لم يكن احد يجهل مكانة العرب في هذا الفن وبذلك يرون انهم يتحررون من الاتهام بالزندقة وقد اصبح اندريا ارباني في البندقية [illegible] في هذا الباب وانشأ هؤلاء المترجمون يدققون علاوة على ذلك كل التدقيق فيما ينشرون فكان لهم اسلوب علمي حقيقي . ولما رأى اندري مونكاجو يطوف في القرن الخامس عشر ان تراجم ابن سينا القديمة واطباء بلاط

ويعتبر [illegible] الذي درس اللغة العربية في دمشق واتم تعليمه الشرقي بارتحاله في مصر وسورية وفارس وآسيا الصغرى رحلة طويلة وذلك قبل ان يعود الى ايطاليا ليشرع في ترجمة فلسفة ابن سينا . وقصد جيرولامو راموزيو احد اطباء البندقية بلاد الشام ايضا في سنة ١٥٢٠ للتبحر في فهم فلسفة ابن سينا ويعلق على [illegible] تعليقا .

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان الى ايطاليا وكثيرين من نصارى الشرق واختراع الطباعة وقيام الاصلاح [illegible] في اوربا ان عرفت ايطاليا حركة النهضة العلمية التي تجلت في اجلى مظاهرها في الدروس الشرقية ولا سيما في دروس العربية والاسلام .

كانت الحركة في تعلم الشرقيات عامة والعربية خاصة قد انتشرت كل الانتشار بفضل الكردينال فرديناند دي مديتشي في فلورنسا والبابوات في رومة والكردينال بوروميو في ميلانو . والكردينال [illegible] ومن [illegible] مثل باغانيني الذي نشر في مدينة البندقية اول طبعة من القرآن باللغة العربية ولكن هذه الطبعة لم تلبث ان ابيدت [illegible] وكان من الاسقف [illegible] الشهير بالدروس الشرقية ولا سيما العربية [illegible] الاول بتدريس اللغة العربية بعد ان صرف ثروته في اقتناء مجموعات من المخطوطات المهمة في العربية والعبرية والكلدانية [illegible] كولومبوس [illegible] مدققا .

وهكذا كانت ايطاليا [illegible] باللغة العربية ونشر روحها قبل كل البلدان الى الاقطار التي [illegible] فيها [illegible] اول طبعة ايطالية من القرآن [illegible] الاحوال على [illegible] في [illegible] انشاء مطبعة اسرة مديتشي [illegible] المطبعة الشرقية [illegible] ومطبعة [illegible] واحدثت مطبعة [illegible] في ميلانو وكل ذلك [illegible] . [illegible] مطبعة مديتشي [illegible] من الانجيل باللغة العربية [illegible] يسوع المسيح [illegible] في البلاد العربية [illegible] العربية في صورة [illegible] الذي يرمي اليه دعاة الدين .

وكانت [illegible] مطبعة حديثة رومية على الاسلام يدخل اليها [illegible] وهي [illegible] الادباء امثال [illegible] والكيابي [illegible]

عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الاعداء القدماء لتكون من ذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان اما غريغوريوس الثالث عشر فكان لا يرى احسن في الجهاد من تنصير الناس وابادتهم وانشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الادرياتيك اول مطبعة عربية احتفل ليون العاشر بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها اول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب «صلاة السواعي» . وكان في رومية مطبعة حجرية شرقية انشأها سافاري دي بريف الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القسطنطينية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنها مطبعة الامة في باريز اشكالها . ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي .

وظل الكردينال فرديناندي ميديسيس متمماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية فابتاع مخطوطات شرقية باسم البابا وكان يدير بطريركيات انطاكية والاسكندرية ومملكة الحبشة ادارة روحية وانشأ على نفقته مطبعة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي اكثر البلاد التي كانت العربية منتشرة فيها . فكانت اللغات الشرقية التي يطبعها ولاسيما العربية قدوة الداعين الى تعلم الشرقيات ونشر العربية كتاب نحو وكتب ابن سينا وغيرها فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الاعجاب العام وبعد ان قضى ريموندي نحبه لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في اعلان الحرب الروحية على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت الى احداث الاضطرابات العصبية .

ولم تشأ رومية ان تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة لتنتشر بها الدعوة للاسلام . فقد صارت بفضل البابوات ميدان درس ونشر كل مايرقي عقول القسيسين الذين تتخذهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً يتخرجون في المدارس بما امكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ودار الكتب تزخر بهذه المعلومات ويعثرون فيها على ماسطره اسلافهم من رحلاتهم الى البلاد التي عنوا بتنصير اهلها وما تألفوه من معتقداتهم وعاداتهم وحاجاتهم وصناعاتهم و يقضى على كل قسيس ان يكتب بعد مقامه في الناحية كتابة او رسالة تخدم هذا الغرض . ومطبعة بث الدعوة تنشر كل مايؤلف من هذا القبيل وتترجم الى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحية والردود على الاسلام . وكان للغة العربية الشأن الاول من بين هذه اللغات التي تطبع فيها المطبعة وهي عشرون لغة شرقية

وما كان القصد من هذه العناية الا دينيًا محضًا بادئ بدء اذ لم يكن العلم الشرقي الا واسطة تساعد على نشر الضلال وكذلك اللغة العربية لم تكن الا سلاحًا يقاتل به الاسلام . ولذلك كانت المدرسة الاكليريكية الشرقية في بدوها لاترى غضاضة عليها ان تشتغل بهذا الغرض لجهة الآثار التي خلفتها وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من الثمرات لتلك المدرسة التي تمثل الثروة والأعمال الافكار .

وقد تخرّج بالاساتذة مارتني والفنيرو عدة من التلامذة باللغة العربية فصنعوا فيها وألّفوا وحققوا مقاصد الكردينال في الرسالة وكان كل منهم يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية . ولهذا كان شأن ميلان قبل فريدلك ورومة بث فيها روح العلوم الشرقية وبعث منذ سنة ١٦٠٠ الى الشرق يجلب الاعلاق النفيسة كتبًا ومخطوطات شرقية وأسس المكتبة الامبروزية الشهيرة ثم بكثرة التلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض بل كانوا قلائل التلاميذ بأعمالهم وكانت فيه اساتذة خاصة من نصارى الشرق او الاقطار المحتلة ولهذا تنافس عليهم وتعلموا وتخرج في مدرسة امبروزيا الطويلة محبي اللغة العربية فكان لها عضة البارزة .

بعد القرنين السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس العربية ولاسيما اللغة العربية في ايطاليا اما القرن الثامن عشر فكان عصر الانحطاط الذي الافت فيه على الغيرة الدينية والحماسة العلمية ولم يبق فيه سوى الكردينال بورجيا والي الفارقة في الفنن الذات المرجعة فكان مصيرها العلم الايطالي وقد قام جمهور الشعب الجاهل ومملك هجر منهم الى الشقاء والعبودية اما الايطالية العالية فقد حرمت من الاستقلال في ادارة شؤون بلادها الاستبداد الذي انه اضطهاد الشعب الشديد فضيت في ذلك المطامع المادية حريتها وعن ملكاتها العقلية .

وفي سنة ١٦٩٠ احترقت مطبعة مديتشي ثم اعيد انشاؤها وبعد ان تقلبت عليها الاحوال وتنقلت الى باريز ثم الامبراطور نابليون اعيدت الى ايطاليا وفيها طبع ايام سستر في التليان نقل اماري ومكتبارلي وكوبدي كتبهم وما نشروه من آثار العرب ومالح نابليون مصر [illegible] مقتنياتهم وتحقيقهم وانه لابأس [illegible] الاقلال اعلاف الكتاب وأسالة على الغربيا عصرية فتأثر بعضهم الجهاد وحسن الخدمة وبعث يجلب الدعوة الشرقية من ايطاليا فأتاه الى مصر واخذ يطبع بها الكتب خدمة للسياسة والتجارة .

فاصيبت من ثم المطابع الشرقية في ايطاليا بضربات السياسة والحوادث وبعثت المدرسة الاكليركية وغيرها كتبها في ادوار تحول وعلى ما عرف به المستشرق العالم بالعربية اسباني من سعة الفضل [illegible] البلاد لم تعد الحياة للمشرقيات بعد انطفات جذوتها بالفتن والكوارث وانقراض بيت مديتشي . ونشأ للعربية استاذ في القرن الثامن وهو القس فلان درس في كلية بارمه ونشر بعض الكتب ولكن القرن التاسع عشر امتاز بآدابه في امتداد النهضة في ايطاليا التي هبت قوية حرة وراحت ترفرف نحو كل ما كان فيه مجد لايطاليا في تاريخها المجيد فازهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الاسلامية . فكانت الولايات الجنوبية في ايطاليا تخرج ابطالاً في المشرقيات امثال المؤرخ والسياسي ميشل اماري الذي نشر اسس تاريخ المسلمين في صقلية وكثيراً من الكتب التي تدل على فضل علم وتدقيق . ودروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا ونشأ معه الاستاذ سكياباريلي مدرس العربية في فلورنسا ثم رومة وايطاليا مدرس كلية نابولي والعلامة كويدي الذي هو اليوم احد الزعماء القلائل من علماء المشرقيات من الطليان وهكذا نشأ لايطاليا فئة من المتبحرين في علوم الشرق وعاداته وامراء يعطفون على العلماء في طبع مآثره ونشره .

وكان اشتغال ايطاليا قديماً بنشر المدارس في كل البلاد واصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد ان تجعل للسان العربي حظاً من هذه الخدمة [illegible] صعوبة الحياة الحديثة والاعمال [illegible] التي [illegible] انها اليوم العامل في حياة الامة الاوربية ان تحدو ايطاليا السياسية الى الانتفاع من هده المعارف النظرية انتفاعاً عملياً .

ولما تمت لايطاليا وحدتها لم تر لها نصيباً من المشارق ارض او بلاد وجهت وجهتها منذ ثلاثين سنة الى ان تقيم بدعائم ما لم يكتب له الاستعمار الاوربي من حوض البحر المتوسط فرأت اولاً ان تبعث الفقراء من ابنائها الى صقلية وسردينيا الى تونس اذ قد رأت فرنسا قبضت على بلاد الجزائر واسبانيا على الريف وانكلترا على مصر ولكن سرعان ما سقطت احلامها باعلان فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ فبقيت امامها طرابلس الغرب ولكنها لم تجرأ ان [illegible] اعتمدت [illegible] الشاعر [illegible] فارادت الاستعمار ببلاد الشاطئ الشرقي من افريقية فكان لها مرغوبها ولم تزل دعاة لما تريد ايطاليا القيام به .

واذ كانت مصر على قرب من ايطاليا وعلماؤها وعراقتها في الاسلام مما يكون منه

أخطار كانت في اول نشأة المصارف البابوية المالية وتجارتها وكانت ايطاليا منذ القرن السادس عشر مركز العلم والآداب اللاتينية وقد انشأت معاهد الآثار المصرية والقبطية في بيانات بذلك انه لا بد ان تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الاشتغال فيه وكانت البعثة الحبشية الاولى في ايطاليا لانها رأتها اقرب الى الدعوة في سلطة الحبش وان التجارة يمكن ان يصطدم الايطالي مع الاسلام التي لا ينقطع .

وفي اوائل القرن التاسع عشر انشأت ايطاليا ايضاً مدرسة للتبشير الافريقي ولتحقيق هذا الغرض استقدم من ابناء تلك البلاد وتربيهم ليعودوا الى مساقط رؤوسهم يحملون الى اوطانهم الديانة الجديدة . لكن هذا العمل في التبشير لحقه ما حال امامه في كل مكان من دعوة الاسلام ونشر الدعوة البروتستانتية فانصرفت ايطاليا من ثم الى غرس نفوذها في تلك البلاد واعداد الاسباب للمطامع الاستعمارية .

فكانت سياسة ايطاليا حازمة محتشمة اولاً في سنة ١٨٦٩ عندما فتحت ترعة السويس ابتاعت شركة الملاحة الايطالية روباتينو من رئيس سلطان مرفأ اساب بالقرب من جزيرة بريم على الساحل الافريقي من البحر الاحمر لجعله محطة لسفنها الذاهبة الى الشرق الاقصى ولما خابت آمال ايطاليا في الاستيلاء على تونس ابتاعت من هذه الشركة سنة ١٨٨١ حق ملكيتها في تلك الارجاء بمبلغ ٤١٠ آلاف فرنك فكانت كثيراً وارسلت حملة لتضرب على ايدي القبائل الثائرة كل الصومال من الشيخ فذبحوا لها وبالخاصة سنة ١٨٨٤ ، ولما احتلت حملة الى مصوع ، بعثت انكلترا جيشاً الى البحر الاحمر للدفاع عن سواكن ومصوع من عصاة السودان واقترحت على ايطاليا ان تكون الحملة مشتركة على ان تكون مصوع لايطاليا وحق لها بسط سلطتها على الحبشة فاضطرت الى احتلال مصوع وتيسر لايطاليا بأعمال حربية قليلة ان تضم ارضها الى ارض البلاد .

ولكن بسط حمايتها على الحبشة انشأت حرباً كانت غير متوقعة وذلك لان جيوشها ما كادت تصل الى البحر الاحمر حتى تحالف امراء الحبشة وجمعوا جحافلهم جوهانس امبراطوراً عليهم فقتل هؤلاء حملة ايطاليين مؤلفة من ستمائة شخص عن بكرة ابيها سنة ١٨٨٧ فارسلت ايطاليا عشرين الف رجل لم يكادوا ينزلون الى البر حتى فتك فيهم الطاعون والحصار وحملهم على الفرار من الحبشة فانهزمت ايطاليا شر هزيمة في سكاتي

(١٨٨٩) ثم استمالت اليها النجاشي منليك واعدة اياه بان يكون هو امبراطور الحبشة دون جوهانس ولكنه لم يغتر بمقاصدها بل رد الايطاليين رد الابطال عن حياض بلاده فذبح سنة ١٨٩٥ الناس من المستعمرين الايطاليين في امبا الاكاجي وبعد بضعة اشهر صدمت الحبشة لايطاليا جيشاً مؤلفاً من خمسة وسبعين الف ايطالي في ادوا فاضمحلت آمال ايطاليا بعد ذلك وقنعت بما ترك لها من المواني هناك واخذ ابناؤها ينتشرون في تونس ومصر وعلماء المشرقيات المشتغلين من العربية من ابنائها يرفعون شأنها الماضي في الحضارة وتقاليدها القديمة في النصرانية .

واتفق ان احد رجال البيت الخديوي الامير احمد فؤاد باشا تعلم في المجمع العلمي العسكري في تورينو فكان منه بعد ذلك ان عقد انفع الصلات مع ايطاليا كما بدأ ذلك منه سنة ١٩٠٨ وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للمصريين ونظم الجامعة بمشورة عالم فرنساوي مشهور المسيو مسبرو وكانت اكثر الدروس تلقى بالعربية فكان من الاساتذة كويدي ونالينو وملو الايطاليين الذين درسوا الدروس التي عهدت اليهم بالعربية .

ومنذ ذاك العهد مالت الافكار في ايطاليا الى طرابلس الغرب لتكون لها اهراء حنطة كما كانت للرومان قديماً وذلك لانها ببذل المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها سيكون منها مورد ربح عظيم وتجد فيها اليد العاملة من الطليان عملاً واسعاً للاستعمار فرأت ايطاليا ان يكون الفتح الاستعماري مشفوعاً بالرفق والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الاسلامية وان يكون اساس الاستعمار في تلك الاقطار المصالح الاقتصادية وان تدار البلاد بايدي اعظم رجال الادارة ممن تعلم [illegible] المستعمرات الاوربية دروساً في الاستعمار .

واخذت ايطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتها جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخريج رجال سياستها وتراجمتها وسماسرتها تدرس فيها العربية والفارسية والتركية ولاسيما العربية وستعنى هذه المرة بالعربية اكثر ليكون من متخرجيها اعاظم الاداريين المستعمرين لليبيا وتضاف الى دروسها اللهجات البلقانية المتنوعة ممن تشعر معهم البندقية وايطاليا . ولمدينة جنوة درس عربي طالما تناوب تدريسه اعاظم مستشرقيها وهي اليوم تطالب بان يكون لها امتياز بتخريج رجال الادارة والاستعمار بانشاء كلية تجارية استعمارية فيها وكذلك سيكون من كلية بولون اثر عظيم في تخريج

رجال بالعربية كما فعله حضرة ابن خليل الآن · وفي رومية في مدرسة الدعوة الى الايمان دروس في العربية والسريانية وكذلك مدرسة القديس ابولينير فان درس العربية يدرس فيها الاستاذ بوغاريني وفي كلية الحكومة اللادينية في رومية كان فيها درس للغة العربية وآدابها بزعامة الاستاذ سكيا ابريلي والحبشية تحت نظارة كويدي · وفي جنوب شبه جزيرة ايطاليا الجنوبية تذكارات اسلامية والقريب من حيث الوضع الجغرافي من بلاد المسلمين كلية بلرمة التي يدرس العربية فيها كل من الاستاذين نلينو ونشيا والمقصود بالدرس العلم العربية بالعمل كما انها بالنظر ايضاً · وفي نابولي معهد شرقي يعلم اللغات الحية في آسيا وافريقية وفيه تلامذة صيدليون وهنود وطليان ومصريون والاحبوش والياليون ويونان · وفي سنة ١٩٠١ اعيد النظر في هذا المعهد الى مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز وبطرسبرج ودروسه مجانية ولا يؤدي الطلاب فيه

لا جرم ان الاقبال على العلم الغريب مما يدل على نجاح هذه المدرسة ويكون لايطاليا احد ان تكون دولة عظمى في الممتلكات الشرقية في البحر المتوسط على ما يبدو الآن لا تعين الشعوب الاسلامية النازلة في حوض البحر المتوسط من ان هذه الدولة حديثة العهد بقوتها ما توسلت من اقراء المستعمرين والعاملين القادرين على منافسة اليد العاملة الوطنية اه

كليات المانيا

الكليات او الجامعات او دور الفنون في المانيا هي المدارس العالية المحتوية على الفروع الآتية الاولى شعبة الالهيات الثانية شعبة الحقوق والثالثة شعبة الطب ، الرابعة شعبة الفلسفة (وهذه اربعة فروع (١) الفلسفة المجردة وعلم التربية والمنطق (٢) علم الانسان والادبيات (٣) التاريخ والجغرافيا وتاريخ الصنائع والموسيقى (٤) السياسيات وعلم الاقتصاد) الخامسة شعبة الرياضيات والطبيعيات (وهي الرياضيات وعلم الفلك والحكمة الطبيعية والكيمياء والحيوانات والنباتات وطبقات الارض) · وعدد كليات المانيا احدى وعشرون · عشر منها في بروسيا والعشر الباقي في سائر الحكومات المتحدة وهذه اسماء المدن الموجودة بها مع تاريخ تأسيسها وعدد طلابها في نصف السنة الدراسية الشتائية من سنة ١٩١١

تاريخ التأسيس	عدد الطلاب	الكليات
١٨٠٩	١٤٥٤٣	برلين (بروسيا)
١٤٧٢	٠٧٥٩٦	مونيخ (بافيرا)
١٤٠٩	٠٥٨٠٤	ليبسك (سكسونيا)
١٨١٨	٠٤١٠٧	بون (بروسيا)
١٥٠٢	٠٢٨١١	هاله (بروسيا)
١٥٦٧	٠٢٥٠٦	ستراسبورغ (الزاس لورين)
١٧٠٢	٠٢٤٢٩	برسلاو (بروسيا)
١٤٥٧	٠٢٣٨٧	فرايبورغ (بادن)
١٧٣٧	٠٢٣٥٥	غوتنغن (بروسيا)
١٧٧١	٠٢٢٩٦	مونستر (بروسيا)
١٣٨٦	٠٢١٨١	هايدلبرغ (بادن)
١٥٢٧	٠١٩٣٦	ماربورغ (بروسيا)
١٤٧٧	٠١٩١٣	توبنكن « ورتمبرغ »
١٥٥٨	٠١٧٥٣	يينا « ساكس وايمار »
١٥٤٤	٠١٦١٤	كنغسبرغ « بروسيا »
١٦٦٥	٠١٥٧٠	كيل « بروسيا »
١٤٠٢	٠١٥٠٩	ورتسبورغ « بافيرا »
١٦٠٧	٠١٤٠٩	كيس « هس »
١٧٤٣	٠١٠٩٩	ارلانكن « بافيرا »
١٤٥٦	٠١٠٣٤	كرايفسوالد « بروسيا »
١٤١٩	٠٠٩٠٣	روشتوك « مكلمبورغ »
١٩١٤	جديدة	فرانكفورت على ماين «بروسيا»
	٦٣٧٥٥ —	المجموع

ومن هذا المجموع ٥٠٠٠ طالبة تقريباً . وعدا ذلك فان في اغلب المدن مدارس عالية عملية ، هندسية ، زراعية ، صناعية ، تجارية ، حربية ومراصد فلكية ودور معلمين ومعلمات .

الحنطة في فرنسا

قالت المانين : ان اكثر ام الارض مقطوعية للحنطة هي الامة الفرنسوية ثم ايدت قولها بالاحصاء التالي وهو احصاء سنة ١٩٠٩ الذي يمكن اعتباره كمتوسط كمية الحنطة التي تناولتها مقطوعية ١٩٠٩

مقطوعيتها	(الف قنطار)	المقطوعية الفردية
فرنسا	٩٨٤٣٢	٢٤٥
المانيا	٥٧٦١٣	[illegible]
النمسا والمجر	٥٧١٢٠	١٤١
اسبانيا	٤٠١٦٧	[illegible]
الجزر البريطانية	٧٣٩٤٤	١٦٧
ايطاليا	٦٤٤٤٨	١٨٦
روسيا (اوربا واسيا)	١٧٤٨١٠	١٤١
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥	١٦٢

فيتبين مما تقدم ان المقطوعية الشخصية هي في فرنسا اكثر منها في سواها . وان في الاشاعات المتداولة على السنة الناس في الخارج ان الفرنسويين يكثرون من اكل الحنطة والضفادع (لنا خصوصاً) اي ان احد شطري الخبر صحيح اما الثاني فخرافة

ثم اذا اعتبرت المقطوعية من الوجهة العامة كان الفرنسويون بعد روسيا الواسعة الاطراف والولايات المتحدة الجمهورية في مقدمة سائر الامم في المقطوعية . وان في الجدول الآتي دلالة على مقدار مقطوعية كل شعب من الحنطة . بقي ان نعلم كيف تتحوط كل امة لاملاء اهرائها التي تفرغ في كل عام . على انه لابد من التمييز بين البلاد التي تزيد مقطوعيتها من الحنطة عن حاصلاتها والتي تزيد حاصلاتها الخاصة عن مقطوعيتها فمن الفئة الاولى

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
المانيا	٣٧٥٥٧	٢٠٠٥٦
النمسا والمجر	٤٩٩٣٦	٧١٨٤

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
انكلترا	١٧٤٨٦	٥٦٤٥٨
ايطاليا	٥١٨١٣	١٢٦٣٥

فاعظم البلاد استيراداً الحنطة هي انكلترا ثم ايطاليا حليفتاها · اما فرنسا واسبانيا فان محصولها من الحنطة يعادل على نوع ما مقطوعيتها وبيان ذلك

حاصلات	الف قنطار	الفرق
فرنسا	٩٧٧٥٣	٦٨٠
اسبانيا	٣٩٢١٩	٩٤٨

اما البلاد التي تزيد حاصلاتها عن مقطوعيتها فروسيا وحدها في اوربا ثم رومانيا · اما البلاد الاخرى فكلها واقعة وراء البحار وبيان ذلك

	المقطوعية	الحاصلات
روسيا	١٧٨٤٠٠	٢٣٠٢٨٨
رومانيا	٧٠٤٠	١٦٠٢٢
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥	١٨٥٩٨٠
كندا	٣٠٠٥١	٤٥٣٨١
الهند الانكليزية	٦٦٤٨٧	٧٧٦١٦
اوستراليا	١٤١٣٧	٢٤٦٠٧
الارجنتين	٨٨٤٨	٣٥٦٥٥

ولهذه الارقام من الوجهة السياسية مكانة عظمى فالجزر البريطانية تستطيع ان تستمد من مستعمراتها ثلاثة ارباع ما ينقصها لمقطوعيتها · وان ما نقوله هنا عن الحنطة يصح ايضاً في اللحوم وسائر الحبوب الغذائية · فالقوة البحرية الانكليزية الضخمة تضمن ورود الاقوات اليها بانتظام وهي مسألة حيوية بالنسبة اليها لانه اذا استطاع العدو ان يمنع عنها الاقوات اللازمة هلكت بالجاعة · ومثل ذلك يقال في دول التحالف الثلاثي فهي لا قوام لها بدون وصول المؤونة اللازمة لها من الخارج · واهم البلاد التي تستورد منها روسيا وهي عدوتها · فاذا امسكت عنها الحنطة في ابان الحرب وكانت لها (اي روسيا) بحرية قوية هلكت امم التحالف الثلاثي جوعاً · وان هذه الحاجة حاجة استيراد المؤن من الخارج لتزيد عاماً فعاماً بسبب ازدياد الناس في اوربا في

الآونة الاخيرة ونجد البرهان على ذلك المقارنة الآتية :

الكمية المستوردة		(الف قنطار)
	١٨٨١	١٩٠٩
المانيا	٣٠٨٥	٣٠٥٦
النمسا والمجر	٤١٣	٧١٨٤
انكلترا	٣٥٥٢٠	٥٦٤٥٨
ايطاليا	٤٨٥	١٢٦٠٥

اما فرنسا التي ما كانت قط تستورد كميات كبيرة فقد استوردت في سنة ١٨٨١ اثني عشر مليوناً و٦٤٠ الف قنطار اي اكثر مما استوردته دول التحالف الثلاثي بثلاث مرات . وسبب ذلك ان سكان المانيا كانوا في ذلك العهد ٤٤ مليوناً مقابل ٦٤ مليوناً في ١٩٠٦ و٦٧ مليوناً اليوم . وكانت النمسا ٣٨ مليوناً وهي اليوم ٥٠ مليوناً . وان ازدياد عدد السكان في اوربا كلها ليضطرها ان تستورد حاجتها من الحنطة من الخارج . وهذا الاضطرار يقضي بوجوب الاعتماد على عمارة تجارية كبيرة واسطول حربي ضخم اه .

اموال الفرنسيس

لفرنسا وحدها في القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٥ الى الآن مبلغ ٨٤٦ مليون فرنك يضاف اليها ما لها من الاموال في المشاريع الآتية :

	مليون فرنك
في البنك العثماني	٦٣
سكة حديد ازمير	٧١
« « القدس ويافا	١٨
« « دمشق حماه	١٢١
« « سلانيك	١٢٧
« معدن هركلي	٢٩
« مرفأ ازمير	١١
« « بيروت	١٤

	مليون فرنك
« « الاستانة	٣٧
« مياه الاستانة	١٧
« شركة حصر الدخان	١٦

يكون المجموع مليارا و ٣٧٠ مليون فرنك يضاف اليها الديون غير المنتظمة وهي :

	فرنك
الديون الموحدة العثمانية	٣٨١٦٠٠،٠٠٠
تحويلات الرومللي	١١٩٤٠٠،٠٠٠
ديون اخرى	٧٥١٠٠٠، ٠٠
سلفات متفرقة	٧١٠٠٠،٠٠٠
	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ | ٣٠
	١٠٠ | ١٥

هذا عدا عن الاموال المستثمرة في بعض المشاريع الثانوية وهي كثيرة فاذا اضفنا اليها عشر الديون العثمانية بلغ المجموع نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات تزيد فائدتها ٢٥ في المئة من مجموع دخل الدولة كله ويضاف الى ذلك القرض الاخير وهو ٧٠٠ مليون فرنك .

طلابنا في فرنسا

الغالب ان معظم من يدرسون العلوم من ابناء العثمانيين في كليات اوربا يؤمون فرنسا ويختارون من كلياتها كلية باريز وكلية ليون فكرونوبل فمونبليه فنانسي ثم يكون من طلبتنا الاقل في كليات المانيا وانكلترا فالنمسا .

وقد ذكرت الطان احصاء في عدد طلاب الكليات في فرنسا جاء فيه ان عدد طلاب الكليات في فرنسا ٤١١٠٩ طلاب وطالبات منها ٤٠٥٦ من الفتيات والباقون ذكور اي ان نحو عشر الداخلين في المدارس الجامعة هن من الجنس اللطيف وبلغ عدد الاجانب من الطلبة ٣٨١٩ اي نحو عشرة في المئة من مجموع الطلبة و ٤٠٥٦ طالبة ويكون مجموع الطالبين والطالبات من غير الفرنسويين في كليات فرنسا ٧٨٧٥ من اصل ٤١١٠٩

واكثر الطلبة الاجانب يدرسون الحقوق ويأتون من الشرق فقد بلغ عدد طلبة رومانيا ٩٥٧ والروس ٣٤٣ والمصريين ١٦٣ والعثمانيين ١٣٤ اي نحو ثلثي عدد الاجانب ثم ٨٣ بلغاريا و٣٦ المانيا و٢٨ يونانيا و٢٧ صربيا و٢٥ نمساويا مجريا و٢٣ لوكسمبرغيا و٢١ اميركانيا جنوبيا و١٧ سويسريا واكثر الطلبة الاجانب في الطب هم من الروس الذين يبلغ عدد اناثهم ٤٦١ ثم يجيء العثمانيون وعددهم ٨٧ والبلغار ٦٧ والرومان ٥٩ واليونان ٣٦ والذين يدرسون العلوم من الروس ٩٥٠ ومن العثمانيين ٧٠ اما عدد الدارسين في الآداب فهي ٧٠٩ من الروس و٢٣٢ من الالمان و١٤١ من الانكليز و٧٠ من الطليان فيكون مجموع طلبة الاجانب في كليات فرنسا كما يلي : ٢٧٦٩ روسيا و٨٠٤ رومانيين و٣٢٣ عثمانيا و٢٨٩ المانيا و٢٣٣ بلغاريا و٢١٢ مصريا و١٩٠ انكليزيا و١٥٤ نمساويا مجريا و١٣٠ ايطاليا و١٠٦ من الولايات المتحدة و١٠٦ من اليونان و٢٨ سويسريا و٨١ من اميركا الجنوبية و٥٦ صربيا و٥٦ افريقيا و٤٧ لوكسمبرغيا و٤٠ اسبانيا و٣٦ من الالزاس واللورين و٣١ سويديا ونروجيا و٣٤ بلجيكيا و٢٦ من اميركا الوسطى و٢٥ ايرانيا و٢٣ برازيليا و١٩ برتغاليا .

تربية النساء

بينا نحن مع قومنا في اول درجة من سلم الارتقاء ولما نصعدها اذا بنساء الغرب قد بلغن شوطاً في التمدن لايكاد يصدقه شرقي فقد ساوين الرجال في العلم والتهذيب حتى كدن يفقنهم واخذن في انهاض بنات جنسهن حتى تطاولن في بعض الممالك الى المطالبة بالاشتراك معهم في الحياة السياسية فنلن في فنلندا ونروج واوستراليا والولايات المتحدة الاميركية ما املن في هذا الشأن ولا يمضي زمن طويل حتى ينال نساء بريطانيا العظمى حقوقهن في الانتخاب كما نال سكان تلك البلاد الاربع المذكورة وهن يحاولن في فرنسا ان يكاثرن الرجال في المجامع العلمية فيكون منهن اعضاء في اكبر مجالس العلم في باريز وعمالاتها

وان الباحث ليسهل اذا اراد نقل بعض ما يكتب النساء الغربيات من المقالات والابحاث ويلقين من المحاضرات والخطب في هذا الشأن وفيهن مديرة المدرسة العالية والمحامية والصحافية والطبية والعالمة بالطبيعة والفلك والكيمياء والهندسة والمحاسبة وآخر ما قر عليه قرار العالمات من النساء في انكلترا ان بين الرجل والمرأة اختلافاً اساسياً هو

في المرأة بالنسبة للرجل صعوبة الحياة وطولها وطول سلسلة مصائبها وقوتها على مقاومة الامراض وندرة نبوغها وحتى ما اختصت به من الملكات كالجنون والجرائم · وهن يحاولن هناك ان تربى المرأة تربية تؤهل بها للكسب وتصير صالحة للقيام بوظيفة الامومة على ما يجب

قال اميل فاكي : كانت المرأة لاول عهدها دابة ثم حيوانا داجناً ثم رقيقة ثم خادمة ثم قاصرة وهاهي اليوم تحاول ان تثبت رشدها وتسجله في سجلات القانون · ولقد صح ان النساء النبيلات وذوات الطبقة الثانية في الناس كن في القرون الوسطى يشاركن في الحياة البلدية ويدخلن المجالس فقد قادت جان دارك الجيوش وارسلت كاترين دي سين في القرن الرابع عشر سفيرة الى الفيورن الى حضرة البابا وحكمت مرغريتا دوجة ساقوا بلاد الفلاع على عهد ابن اخيها شارل الخامس وكثيرات من الاميرات في ذلك العهد تولين الاحكام وتعاطين التجارة والادارة ومنهن من علمن في كليات ايطاليا واسبانيا

ولما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر انقلب الامر فكان من نتائج الاصلاح الديني ان اتجهت الافكار نحو احياء العبرانية ومصطلحاتها كما كان من نتائج النهضة الاتجاه صوب الاوضاع اليونانية بيد ان التعليم الذي كان لا بأس به ويلقنه الفتيات في الاديار قد حرمن منه بعد الغائها

فالتربية التي حيل دون النساء خلال ثلاثة قرون الاخذ بها في الغرب قد بدأن يتربينها فاتح ذلك تلك الحركة الادبية الباهرة في القرن الثامن عشر في فرنسا وبريطانيا العظمى وما كان عزوف نساء اسبانيا عن الاختلاط واخذهن اعتزال الشرقيات في خدورهن وجهلهن الا سبب انحطاط امتهن

يجب ان يصبح النساء امهات قبل كل شيء ولهذا يجب عليهن ان يقوين مداركهن ويربين عقولهن · ان ميزات الرجل وميزات المرأة متمم بعضها للآخر وهي ضرورية لارتقاء الجميع الارتقاء الذي نتوقعه للمستقبل وكل تغيير يحدث في تربية المرأة وفي قبولها في الاعمال الخاصة اليوم بالرجال يجب ان يجري على فكر علمي وعلى طريقة التجربة وباحتراز واحتياط وان يلاحظ فيها الاخلاق الفطرية في المرأة ويميز بينها وبين الصفات الثانوية الخ ·

هذا ما حكم به العلامة المشار اليه على المرأة وهو الحكم المعتدل المعقول اما نحن فعلى رأيه يجب ان تكون المرأة اماً قبل كل شيء ولكن اماً مهذبة التهذيب الراقي في الجملة

تخفف عن الرجل عناءه وتشل هذا الجسد من سقوطه فتنير الشعلة الواحدة اكثر من الف جاهلة واما موقنون بان ارتقاء المرأة البلغارية واليونانية والمصرية كان اعظم باعث لارتقاء تلك الامم والفضل لها في مواقع الدفاع عن ذمارها وديارها لا لجودة سلاحهم وكثرة نصرائهم اما نحن فقد حرمنا التربية البيتية كما حرمنا التربية المدرسية الحقيقية وهذا جماع انحطاطنا . ويبدأ انشاء الاصلاح التام الابتدائي الراقي الآن ثم ترتقي درجته

معادن القطر المصري

انشأ المستر جون ولس المفتش الاول في مصلحة المعادن المصرية سابقاً مقالة شائقة عن المعادن في هذا القطر قال فيها :

اختلف الناس في مسألة التعدين في القطر المصري في السنوات العشر الماضية وتضاربت آراؤهم فيها فوضعها بعضهم موضع الهزء والسخرية واحلها آخرون محلاً رفيعاً من الاهتمام ولاسيما الذين جالوا في هذا القطر وجابوا صحاريه وتمكنوا من مشاهدة الاعمال التي عملها القدماء لاستخراج الذهب والنحاس والحجارة الكريمة والتنقيب فيها . فالحصون القديمة والآبار والمحطات التي لاتزال آثارها باقية الى اليوم تشهد على ما بلغته مصر من حسن النظام في عهد حكامها الاقدمين وكذلك اتساع بعض المناجم القديمة والطرق التي كانت تستخرج بها المعادن لاتترك مجالاً لخرص المتخرصين

ولكن الناس في ايامنا هذه لاينظرون الى الشيء من الجهة الجمالية بل ينظرون اليه من الوجهة المادية او الربح الذي يعود عليهم منه . فهل المعادن التي في مصر كافية لان تكفل الربح للذين يستخرجونها والفائدة للقطر المصري ؟

ومن رأيي ان المعادن موجودة في مصر بكميات وافرة تعود على القطر بفائدة اقتصادية كبيرة ولكن بشرط ان تعير الحكومة المصرية هذه المسألة الاهتمام اللازم وان تشجع رواد التعدين في بلادها وتحسن شروط الامتيازات الحاضرة فتحمي مصالح اصحابها اكثر مما تحميها الآن . ولا يسمح المقام في هذه العجالة ان ابحث في مسألة التعدين بحثاً مستفيضاً فاحصر كلامي الآن في المعادن التالية وهي اهم المعادن التي في مصر

الذهب — في الصحراء الشرقية كثير من المناجم القديمة وبعضها كبير جداً ولكن ظهر من الابحاث التي اجريت فيها ان استئناف العمل فيها على نطاق عظيم لا يعود بربح يذكر على الشركة او الشركات التي تقوم به لانه يستدل من العروق الغنية التي

في تلك المناجم ان استئناف العمل فيها قد يعود بالربح على الشركات الصغيرة او المعدّنين الذين يملكون رأس مال كافٍ للقيام بذلك · ولامشاحة في ان الابحاث التي اجريت في مصر الى الآن كانت قاصرة جداً ولايبعد ان تؤدي الابحاث المقبلة الى اكتشاف رواسب مهمة جداً من التبر المعدني في الصخور المتبلورة والمتكتلة

وقد اظهر التعدين في بعض المناجم ولاسيما في منجمي ام بارت وبرامية ما خصت به عروق الذهب في بعض الطبقات الصخرية في مصر من الغنى فان هذين المنجمين استخرج منهما ما قيمته مئتا الف جنيه من الذهب الابريز من كمية قليلة من التبر والدلائل كلها تدل على انه لايبعد ان يعثر على عروق تكون غنية بتبر الذهب مثل العروق التي عثر عليها في الايام الغابرة ·

النحاس — موجود في اماكن عديدة ولكنه لايؤمل ان يكون من استخراجه ربح يذكر في اي مكان من الاماكن التي فيها تبره ·

الرصاص — موجود في الطبقة الطباشيرية المتوسطة من طبقات الاعصر الثلاثية وفي الصخور الكلسية التي في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدقيقة ٣٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي بكثرة تدعو الى البحث عنه على نمط عظيم · وقد اهتم بأمره في جبل الرصاص منذ اربع سنوات او خمس ·

الزمرد — في سقايط وام حربة وسواهما مناجم قديمة لاستخراج الزمرد وبعض هذه المناجم كبير جداً وقد بلغ العمل فيها اعظمه في العصر «اليوناني الروماني» واستأنفت شركة من شركات المستر ستيتر العمل فيها على نمط صغير فعثرت على حجارة جميلة من الزمرد ولكن الشركة لم توال العمل لا كانت مهتمة به الاهتمام اللازم علاوة على ان احوال المعيشة في الصحراء الشرقية كانت غاية في الصعوبة ولم تكن اسباب الوصول اليها سهلة في تلك الايام مما جعل مواصلة العمل فيها ضرباً من المحال

الزبرجد — يوجد منه حجارة جميلة في جزيرة القديس يوحنا (جزيرة الزبرجد) الواقعة ازاء رأس بناس في درجة ٢٤ من العرض الشمالي · وفي هذه الجزيرة شركة انكليزية فرنسوية تستخرج حجارة الزبرجد منها الآن

المنغنيس — يوجد اوكسيد المنغنيس في شبه جزيرة سيناء وهو طبقات متسعة في دوائر كبيرة يبلغ مسطح الدائرة منها عدة أميال مربعة وهذه الدوائر تعد الآن ليستخرج منها المنغنيس حينما تسهل سبل النقل والشحن ·

الحديد — توجد طبقات متسعة من معدن الحديد الى الشمال من رأس بناس ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من التيتانيوم ولا ينتظر ان يأتي في حالته الحاضرة بفائدة اقتصادية تذكر

الفوسفات — القطر المصري اغنى بلدان العالم بصخور الفوسفات وهي توجد بمقادير عظيمة في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وفي الضفة الشرقية من النيل جنوبي قنا وفي الواحتين الداخلة والخارجة . اما الطبقات التي في سواحل البحر الاحمر فان شركات عديدة تعمل فيها الآن لاستخراج الفوسفات منها وكل الدلائل تدل على انها ستنجح نجاحاً باهراً . والافكار متجهة الآن الى استخراج فوق الفاسفات (سوبر فوسفات) والابحاث جارية الآن في ذلك

الزيت — تقدمت الابحاث التي بدئ بها في خليج السويس منذ بضع سنوات تقدماً علمياً فثبت منها ان مقادير كبيرة جداً من زيت البترول موجودة على عمق غير بعيد في رأس جمسه . والزيت الذي ظهر هناك من اعلى الاصناف واجودها وهو يحتوي من ١٥ الى ٣٠ في المئة بنزيناً ومن ٣٠ الى ٤٠ في المئة من زيت الاضاءة وقليل من الزيت الثخين الذي يستعمل في تزييت الآلات ومن ٣ الى ٦ في المئة من الشمع ولا يحوي شيئاً من زيت الوقود او الفضلات . ولكن مستقبل الزيت في القطر المصري يتوقف بالاكثر على وجوده في الطبقة الرملية التي يختلف عمقها بين ٢٦٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فاذا ظهر من المباحث التي يجرونها الآن انه موجود في هذه الطبقة صارت مصر في مقدمة البلدان التي تستخرج الزيت

الملح — موجود في القطر المصري بمقادير كبيرة جداً وتختلف سماكة الطبقات الموجودة فيها من بضع اقدام الى الف قدم

الصودا — توجد كربونات الصودا بمقادير وافرة جداً في وادي النطرون والصحراء الغربية .

حجارة البناء الثمينة — في الصحراء الشرقية بالقطر المصري اجمل انواع الحجارة التي تستعمل في زخرفة الابنية وتزويقها واشهر هذه الحجارة واجملها كلها الحجر السماقي الاحمر (البرفير) الذي في مقاطع جبل الدخان والحجر الناري اللامع (ديوريت) في مقالع كلوديانوس

صلصال الخزف — في القطر المصري نحو ستة آلاف نفس يشتغلون بصنع مواعين

الخزف البسيطة . والاتربة الصالحة لصنع جميع الانواع من الخزف القاسي المشوي والمواسير موجودة بكثرة في مصر ولكن لاينتظر ان تتقدم هذه الصناعة الى حد تصير كافية لسد حاجة القطر واصدار شيء منها الى الخارج الا بعد ان تحل مسألة الوقود وترخص اثمانها ويسهل الوصول اليها

الوقود — لم يبحث الى الآن عن الوقود عدا زيت البترول بحثاً وافياً . والحطب المتحجر في صعيد مصر لايقابل بسائر انواع الفحم التي ترد من الخارج فهو والحالة هذه من ادنى انواع الوقود واقلها قيمة ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من الكربون وقد يمكن تحويلها الى غاز محترق بواسطة احد الاجهزة اللازمة فاذا تحقق ذلك سهل الانتفاع بالطبقات الدلغانية التي تكثر في الصعيد واستخدامها في ادارة الآلات الرافعة وغيرها من الاعمال الصناعية .

وقد لا يبعد ان يوجد الغاز في الحالة الطبيعية بجوار السويس وحلوان والاحوال الجيولوجية هناك تحمل على اجراء المباحث بهذا الصدد

الفحم — لادليل الى الآن يثبت وجود الفحم في مصر ولكن يحتمل العثور على فحم تجاري في شبه جزيرة سيناء اذا بحث عنه بحثاً منتظماً الا ان معلوماتنا الجيولوجية القليلة عن تكوين الصخور الكربونية في سيناء لاتخولنا ابداء رأي قاطع في هذه المسألة المهمة .

دول الحضارة

بحثت احدى المجلات الاوربية عن مساحة الدول الثلاث المانيا وانكلترا وفرنسا وعن عدد نفوسها وثروتها العامة وواردات سكانها وحكوماتها وتجارتها الخارجية وحمول بواخرها التجارية والحربية وقد جاء فيها ما يلي :

	مساحة اراضيها	عدد سكانها	زيادة النفوس	
المانيا	٥٤٠،٨٥٨	٦٤،٩٢٦،٠٠٠	١٣،٦ في الالف	عن تحرير
انكلترا	٣١٣،٦٠٧	٤٤،٩٠٢،٠٠٠	١١،٦ « «	سنة ١٩١٠
فرنسا	٥٣٦،٤٦٣	٣٩،٦٠٠،٩٠٠	١،٠٨ « «	

	الثروة العمومية	الواردات السنوية العامة
المانيا	٣٤٠ مليار فرنك	٥٠ مليار فرنك

انكلترا ٣٢٠٠٠٠ « « ٤٩ « «
فرنسا ٢٨٧٠٠٠ « « ٣٥ « «

واردات الحكومات سنوياً (عن سنة ١٩١١)

المانيا ١٠ مليارات فرنك
انكلترا ٨ « «
فرنسا ٤ « «

حمول السفن التجارية (عن سنة ١٩١٢)	التجارة الخارجية	
٣٠٢٣ الف طن	٢٨ مليار فرنك	المانيا
١١٨٣٢ « «	٣٢ « «	انكلترا
١٤٦٢ « «	١٤ « «	فرنسا

حمول السفن الحربية

المانيا ١٠٠٤٦٥٠ طن
انكلترا ٢١٩٥٠٠٠ «
فرنسا ٦٤٣٠٠٠ «

فضل القراءة

خطب الرئيس [illegible] الفرنسيس ومؤرخهم في احدى مدارس الريف في فرنسا خطبة على تلاميذها من ابناء الفلاحين قال : يا اولادي الاعزاء ، احب ان يكون بينكم من يحاولون مسك الفلاحة الآن الذين يقولون في انفسهم : لاخير من الاعراض ولا العلم ولا الكتب تخلصت من كل هذا . ومن امثال هؤلاء [illegible] اريد ان [illegible] ما [illegible] . كلا يا الاصحاب الصغار ليس الامر كذلك وما يقال عند هذا الحد . فان زمن الدراسة قصير [illegible] فالواجب ان تقبلوا على طلب الاستفادة والعلم ولكنكم ستقولون انا مضطرون ان نعمل [illegible] كيف [illegible] الى [illegible] جالسين على الكراسي . ستقولون الآن [illegible] لا [illegible] عملا [illegible] الحرفة التي تحتاجون بها .

يجب عليكم ان لا تتوقعوا من اساتذتكم كل تهذيبكم وان تتعلموا ان تكونوا اساتذة انفسكم فانتم لا تدركون كم يحسن المرء في انهاض نفسه اذا اراد . وما من امرىء ينهض بكم اكثر من نهوضكم بانفسكم . اني آمل بادىء بدء منكم ان تبقوا كتبكم المدرسية عندكم وربما لم تكن تروقكم مطالعتها واستظهارها واللعب يشغلكم ولكنكم الآن لستم مضطرين الى تلاوتها لاستظهارها بل تتلونها متى راقكم وعلى النحو الذي يروقكم .

بعد ايام قليلة اذا امطرت السماء ذات يوم او كان اليوم يوم احد تذكروا بان الصفحات الفلانية من الكتاب الفلاني قد اعجبتكم فاعيدوا قراءتها واني لأعجب اذا لم تروقكم اكثر من ذي قبل لانكم تفهمونها احسن لسببين الاول لانكم في سن النمو العقلي والثاني لانكم تقرأون لا لتتعلموا بل لتتلذذوا .

في كل مديرية من مديرياتنا دروس ومحاضرات تلقى على الكبار في الاعمار فاحضروها وفي كل مدرسة مكتبة فاستعيروا من كتبها وابتاعوا كل مدة كتاباً ولا تكثروا بل اكتفوا بثلاثة او اربعة كتب في السنة فالكتب اليوم رخيصة وخمسة فرنكات تكفي لان تؤلفوا منها مكتبة حافلة بالجملة وتصبحون مثالاً لابناء الطبقة الوسطى ممن لا تحدثهم انفسهم ان يبتاعوا كتاباً واعتنوا مهما كان نوع المسكن الذي تسكنون فيه ان تنصبوا لكم لوح خشب تضعون عليه كتبكم وغطوها لتأمن من الغبار والملوثات . ومن اللائق ان تكون الكتب مغلفة احسن تغطية واذا تقدمتم قليلاً في السن عودوا انفسكم تلاوة الجرائد فتجدون في جرائد الشعب مادة تنيرون بها عقولكم في الحوادث العظمى التي تجري في بلادكم وجميع بلاد العالم

انتم عنا من ابناء المزارعين وستكونون كذلك في مستقبلكم والشتاء والليالي طويلة في المزرعة والاولاد يرقدون في فرشهم والحيوانات في حظائرها ولا شيء يشغلكم في الليل فكيف بقضاء الوقت في الظلام وقد كان الزارع في القديم يحيك كزوجته جوارب وغيرها وقد اهملت هذه العادة . وقيل لي ان عادة قضاء السهرات والزيارات بين الجيران قد بطلت ايضاً . دقاق الساعة يروح ويجيء في السكون فكأنه يعد الحياة قطرة قطرة ويقول عند كل دقة ها قد سقطت نقطة اخرى والمرء من وراء ذلك يكتئب ويمل . ولكل حرفة ساعات من الملل تشبه هذه .

افزعوا اذا انقطعتم عن العمل لتلاوة كتاب واقرأوا بصوت جهوري وكرروا ما تقرأونه فقد كان خالي في هذه القرية عشاباً فلاحاً وهو يتلو قصص لافونتين آونة

قواعده لم يبق على عهدها من كتبه البدوية فكان يحاورها ويتدبر في خلواته وجلواته صوت حال وأدبيا تأدب . وتحكمنا الفصحى حياة طيبة أوقات الفراغ فلذقت عنه المال

اما انتم فعصركم عصر الاختراع فيه العلم فقد طويت المسافات في الارض وكانت من قبل واسعة الاطراف بحيث تكفي الرجال الآن بضعة الساعات ليطوفوا حول الارض كلها [illegible] الى بعد الوف من الكيلو مترات وقد قربنا من السماء والنجوم قريبة من محل الراصد والمنظار يدانيها من الاودية والجبال المرسومة على خارطة كأنها تشير وتنادي العالمة بحثت فيها . وقرب ما بين القطبين الشمالي والجنوبي وارباب الرحلات اقتربوا منهما والبحار قد خرقت وجعلت في بطونها الانفاق والطيارات تحوم من فوق قممها والغواصات تجري عليها من فوقها الى قعرها والترع تخيط الارض وقد شقت والصحاري بعدت الآبار والسكك الحديد التي تجرها رجال الآن يخططون سككاً حديدية بين المحيط الاتلانتيكي والبحر المتوسط والبحر الرومي والبحر الجنوبي . وعادت اوربا القديمة تمشي عمالك في القارة السوداء وسيكون من هذا الاحتلال احداث جديدة وأمم لا يعلم مستقبلها كما لم يكن يعلم مستقبل اوربا منذ خمسة آلاف سنة حكماء مصر ولا بلاد كنعان . وتنكر اوربا التي في عصر من العصور الحلم منها الآن اخذت شعوبها تتحابب وما انطلق احد وطنه حبه له الآن والحروب وان الشبيبة فيها قرب يوم تقدس كل الامم معبد الحق او قصر السلام الذي يؤمل دعاته ان يحكم في الشعوب لابطال الحروب .

الامم تطمع في الحرية اكثر من قبل وبيان الشبان قد اصفر وفي كل مكان انتشر الفكر الجغرافي واتصل المستكشفون الى الغاية بكل ما يجعل الحياة موحدة الاركان . والعلم لا يزال يرتقي في المكاتب والمعامل الكيماوية والصناعية وفي كل يوم خبر عظيم . اول امس لعالم [illegible] من تلامذة باستور اكتشف في معمل كيماوي في اميركا ميكروب السكر وامس وصل عدد الطيارات في الهواء الى ما وصل فماذا نعلم غداً .

ولذا اوصيكم ان لا تنقطعوا منعزلين عن هذه الحركة بعقولكم ومشاعركم ، بل ادركوا اي انتم ايضاً [illegible] التاريخ والاوطان . انكم بذلك تعملون . لا تكونوا [illegible] متأخرون [illegible] فعليكم ان تتعلموا بكل الطرق : بالكتب في المدرسة وبالقراءة وبالتجربة في تجارب الحياة . تقومون اليوم بشيء وغداً بآخر ولا تزالون على التدرج تزداد

معلوماتكم وتتدفق في روحكم وتنشأ مادتكم من الافكار والعواطف فتعرفون ذواتكم وتحسنون كيف تعيشون . واختم كلامي بتوصيتكم باقتناء لوح خشب تضعون عليه كتبكم واعدكم بان اعطي لوحاً لمن يطلبه مني وهو مدهون ومطلي ايضاً اه .

المرأة ملهمة

حاضر المسيو بلفه من اعضاء مجمع العلوم في باريز نادي الطلاب في تلك العاصمة فيما كان للمرأة في القديم من التأثير العقلي والادبي ومما قاله : انما نتخيل بانا نتطور ونبتدع شيئاً جديداً لاننا نفتح السبل امام المرأة والفتاة اليوم لتتوفر على دراسة العلوم والآداب والصناعات العقلية وهذا وهم لا حقيقة وذلك لانا نحن اخلاف الزمان مباشرة اولئك الذين رزقوا عقولا تحب الحقيقة المجردة وفيها من الجاذبية شيء كثير ولكنها قصيرة تقصر سيرها تخدع بحضارة مجتمعنا الحاضر ونظن انا اتينا امراً فرياً . ولكن اذا رجعنا الى الامم التي كانت أعظم الشعوب في اشتراك غيرها بثمرات الارتقاء البشري وكانت الموجدة الحقيقية للمدنية واعني بها اليونان ومصر ولاسيما اشور يثبت معنا ان المرأة شاركت الرجل منذ العصور القديمة لا في الجمال فقط بل في البحث عن الحقيقة . والظاهر ان المرأة في تلك القرون التي كان فيها الرجال اقرب الى الطبيعة بما اختصت به من الادراك هي الدليل البصير الفطري لقود الرجل في ابحاثه الطويلة العقلية المدققة . ولقد تجلى تأثير النساء الموحيات عند جميع الشعوب اليونانية الذين كانوا تلامذة كهنة بلاد اشور وكلدية . فقد كان الفيلسوف فيثاغورس الذي تعلم العلم الاشوري في بابل يحنو على امرأته تيانو الجميلة حنو حب وعبادة ومن فلسفته ان الرجل اختص بالعقل والقوة المنطقية والمرأة بالشعور العقلي واذا كان الرجل في هذا العالم الغريب في اسراره مفكراً فان المرأة باشرة للافكار

وكان هذا الفكر الذي هو نتيجة الازمان القديمة والمأثور عن كهنة الوثنيين والبابليين على الجملة جماع العلوم المأثورة عن البشر وهذا الفكر هو الذي تترجم عنه جمهور اساطير اليونان ومصر وبما كان للمرأة من الشأن في مواعظ الوحي الغريبة فكان العذارى في غابة دودونا الملقبة الحمامات بعبادة المشتري هن اللاتي كن يحسن التعبير عن اللغة الرمزية المنبعثة من البلوط المقدس وكان العذارى ايضاً في غابة سيكلوب عند معبد الكرنك يستقبلون حجاج المصريين الذين يسألون المولى تعالى . ولقد قام في

دودون والكرنك على ماياه في اسماعيل هذا البلاد مصر فتحل أحدث أبيرتين من موكب فيبيق وهما النقل انشأه المبعدين والحجة الاهتين وحتاهما اليوم الرسولين اي الناقلتين من بلاد الماصية الى الق جديدة .

الفلاح الغربي

يختلف التعليم في اوربا واميركا باختلاف البلدان فعلى البلاد التي تغلب فيها الغابات غير تعليم الاولاد الغابات والكروم التي يكثر فيها الجز غير الكروم البحرية الساحلية وتعليم بلاد الغابات غير تعليم بلاد الحقول والزروع والثلج المعادن والمناجم غير تعليم الصيد البحري وهكذا يطلق اختلاف التعليم الذي يناسبهم ويتعدى العلم قصور الاغنياء الى اكواخ الفقراء ويشترك بالنور المدني والقروي وترتقي الامة بمجموعها والبلاد بجملة اجزائها .

وقد عرف الغربيون ان العمل الزراعي يشبه معملاً ومهما اقبلت عليه العناية والتحسين لا يزال صابرة عن منزل ولا يصلح الفلاح ان لم يتعلم تدبير البيت وبذلك يتأتى له ان ينتفع الانتفاع المطلوب من تربية الحيوانات والانسان لا ينفع فلاح الاميركي مثلاً فقط ويلي الاحتفال بالمعارف الصحية نقل الموقوفات بالسرقات تعليم الفلاحين جوهر الدين الصحيح وتعلم الام الفلاحة فتخرج الفلاحين الصالحين

فلما كان الغربيون اكثروا الفائدة الرجال من تأسيس المعاهد لتكميل الرجل الفلاح في صناعته لم يكتفوا بالمدارس فقط بل عنيت به الجمعيات والنقابات وكثرت عليه المحاضرات والسابقات والمعارض يرى فيها الادوات وتحسينها وانواع الزراعات وتنوعها وان بعض بلدان الغرب اقتصرت من تعليم الفلاحات الفقر الكافي من الدروس الابتدائية وحبستهن في فن الطبخ والمطابخ وعمل الجبن وما يختص به والفقه لم تحصل على أمة بالاساليب الزراعية الحديثة ليتعلموا على ما يجب من الالبان والبيض والطيور

رأت بعض الامم ان المدارس الزراعية وغيرها لا تفيد الفائدة المطلوبة من انارة عقول جميع ابناء القرى القاصية كما تنير عقول القرى الدانية فأنشأت مدارس موقتة سيارة تقيم في القرية بضعة اسابيع تعلم اهلها المهم من شئون حاجتهم وتقوم بعمليات سريعة وان كانت غير منتظمة قليلاً ولا تامة ولكنها نافعة في الجملة

لسويسرا مدارس للخادمات ومدارس لاتقان تدبير المنزل ومدارس عالية لتعليم المعلمين والمعلمات في هذه الفنون وانشأوا في ايرلاندا وبولونيا وهنغاريا جمعيات نسائية وانشأ النساء في القسم الفلامندي من بلجيكا « اندية الفلاحات » وهي عبارة عن مجتمعات ومدرسة للنساء والبنات معاً بل هي ضرب من الكليات الشعبية وفرع للاناث من مدرسة جامعة للعامة يعنى فيها بالتعليم الصناعي والاخلاق العالية وهي لهن خير ملاجيء لذويهن

تكلم احدهم في جريدة الطان على هذه الاندية فقال ان برنامج التعليم فيها يدهش بسعته وقد تبين مع هذا انه اسفر عن نتيجة حسنة لما دار من الكلام عليها في المؤتمر الدولي الثالث الذي عقدته القائمات بهذا الامر من البلجيكيات في مدينة غاند فظهرت بالارقام فائدة هذه الاندية التي بلغ عددها في تلك البلاد الصغيرة فقط ١٨٣ منتدى فيه من الداخلات ٢١٠٤٠٦ نسوة وانتشرت الاندية في بولونيا والولايات المتحدة وغيرها انتشار الحانات من جديد في بلادنا . اما برنامج الدروس التي تعلمها الاندية للبنات والنساء فهي علم ولادة الاطفال وتربية اجسامهم وعلم التربية والتعليم وصحة البيت والاصطبل وقواعد التغذية القوية الاقتصادية ومضار الالكحول والاسعافات الطبية الموقتة للمرضى والجرحى ونظام القن واصول عمل الجبن والسمن وتربية الطيور وتربية الاشجار وتربية النحل وتعهد البقول وعلم عمل المربيات والحلاوى وعلم الحساب ومضار الاشتراء بالدين والخياطة وتفصيل الثياب والغسل والكي واحترام التقاليد وطاعة مبادئ الاخلاق الدينية .

وبالجملة يتعلمن دائرة معارف مختصرة سهلة يجعلها بناتهم ونساؤهم في القرى ليصبحن فلاحين صالحين ويتوفرن على حسن استثمار الثروة من الاراضي والحيوان ويعشن عيش المرفهات الطاهرات المقتصدات والنساء في بلجيكا من اللائي اخذن على عواتقهن هذا الواجب مع القسيسين وفي اميركا يتولى ذلك المبشرون والكهنة وكذلك في بولونيا .

* * *